http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : مجلة تراثنا

قبلصلة

إحياء التراث

لمحة تاريخية سريعة حول تحقيق التراث ونشره

وإسهام إيران في ذلك

(1)

الشيخ عبد الجبار الرفاعي

يختزن التراث إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة ، لأن لكل أمة شروط نهضتها الخاصة المعبرة عن نسقها التاريخي الخاص ، ومقومات شخصيتها التي تأتلف في إطار مسيرتها التاريخية المحددة .

ويعبر تراثنا عن أمتنا وهويتها ، بل هو خير معبر عنها ، لأنه جزء منها ، وهكذا كل تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته ، فلا يمكن أن نؤسس النهضة على تراث آخر غير تراث الأمة ، فالنهضة يحتضنها هذا التراث ، وتصبح فيما بعد أحد مكتسبات الأمة في حركتها التاريخية ، وتصير واحدة من الإنجازات الكبرى ، والقفزات المتميزة في سعي الأمة نحو التقدم والتكامل .

وللتراث وظيفة أساسية في تجلية الهوية الحضارية للأمة ، وتأكيد ذاتها ، وحماية هذه الذات من الذوبان والانكسار ، باعتبار أن التراث يستوعب مجموعة الرؤى والأفكار والخبرات والابتكارات ، مما أنتجته الأمة في طول تجاربها الحياتية الشاقة ، في حالات الانتصار والهزيمة ، وفي حالات الازدهار والركود ، وفي حالات التقدم والانحطاط ، ولذا فهو يجسد الذاكرة التاريخية للأمة ، ويمثل الزمن المتحرك المحيط بكل فعاليات الأمة ومكتسباتها .

---

(190)

فالتراث ليس أمرا ساكنا ميتا أفرزته هزائم الأمة ، وإنما هو تلك الحيوية المتدفقة في وجدان الأمة ، فتارة تتكشف فعاليته في روح المقاومة العنيدة ، حين يتعرض المجتمع الإسلامي لعدوان غادر من الكفر ، وتارة

أخرى في تيارات التجديد والإصلاح ، وثالثة في ما يبرز من مواقف وإبداعات ، عندما يسعى المجتمع لمواكبة العصر ، ويحاول الاستجابة للتحديات الكبرى ، فلا يجد سبيل أمامه للتغلب على هذه التحديات ، سوى العودة إلى الذات ، والذات لا تتحق إلا بالتراث ، به تتحقق ، وبه تتكشف ، وبه تظل قادرة على مقاومة محاولات التذويب ، والتشويه ، والتدجين ، والتهجين .

(1/1)

من هنا يتبين أن النهضة تتقوم باكتشاف الذات وتحقيق الهوية أولا وقبل كل شيء ، لكي تتحدد المعالم المميزة لشخصية الأمة ، فتتلقى ما ينسجم وبنيتها الخاصة ، فيما تلفظ وتطرد كل ما من شأنه أن يفتت هذه البنية ويزعزع أركانها .

إن ما تنفرد به الأمة وتفتخر به كإرث حضاري تتفوق به على أمم أخرى ، هو تلك العناصر الحية الفاعلة الممتدة زمانيا ، من ما أنجزته من تراث ، في مراحلها التاريخية المختلفة ، وليس ما أنجز لحاجات زمنية خاصة ، وأفرزته دواع تاريخية معينة ، ولم يقو على الامتداد الزمني والحياة في عصور أخرى ، فما ولد في أروقة قصور السلاطين من أدب مبتذل منحل ، وما كتب في أفياء البلاط من فقه سلطاني يمجد الظلم وينفي الحق ، لا يعبر عن هوية الأمة ، ولا يعكس حقيقة شخصيتها .

وربما يتوهم البعض فيحسب أن هذا الكلام يعني الانغلاق والتقوقع على الذات ، وعدم الاستفادة من معطيات وتجارب الأمم الأخرى ، خصوصا في هذا العصر ، الذي خطا فيه الإنسان الغربي خطوات كبيرة ، بل حقق قفزات نوعية في التقنية ، واكتشاف قوانين الطبيعة ، ولم يعد بإمكان أي مجتمع أن يستغني عن هذه المكتشفات ، ويعيش لوحده .

إن ما نعنيه هو أن أية نهضة نريدها للأمة المسلمة ، لا يمكن أن تتحقق من خلال تراث غير تراثها ، فلا بد أن تنتظم الأمة في داخل تراثها الخاص ، ومن ثم تسعى لإغناء مسيرتها ، باستيعاب ما هو إنجاز إنساني عام ، من معطيات العلوم والمكتشفات الطبيعية للأمم الأخرى ، لأن العلم إرث إنساني عام لا يخص أمة دون أخرى ، ولا يملكه مجتمع ملكية خاصة ، فالعلم لا يرتبط بشعب معين ، ولا يعبر عن مرحلة تاريخية خاصة ، ولعل مراجعة سريعة لتاريخ العلم ، ترينا كيف أن البشرية بمجموعها كان لكل شعب فيها مساهماته الكبيرة في تطوير حركة العلوم والاكتشافات .

(2/1)

تأسيسا على ما سبق يتضح أن أية نهضة لا تتحقق إلا باحتضان الأمة لتراثها واكتشافها لذاتها ، ومحاولة التواصل مع الآخر ، واستيعاب ما هو إنجاز بشري عام ، لم تأطر بإطار قومي أو إقليمي خاص .

أما كيف يتاح للأمة أن تكتشف ذاتها وتحتضن تراثها ؟

فإن ذلك لن يتم إلا بأن تتعامل الأمة بشكل مباشر مع تراثها ، عبر إحياء هذا التراث ، ونفض الغبار الذي تراكم عليه سنوات مديدة ، ولا بد أن تتجنب أية محاولة للعبور إلى التراث بواسطة أطراف وأدوات أخرى غريبة عنه ، كما ربما يحاول البعض من المنبهرين بالغرب ، بتعاطي مقولات ونظريات التراث في ضوء أدوات غريبة عنه .

لقد تخلت أوروبا منذ عصر النهضة عن التعامل مع أرسطو من خلال ابن رشد ، وانفتحت على تراثها اليوناني القديم مباشرة ، وسعت سعيا حثيثا لاكتشاف الأصول اليونانية لكل ما لم يصلها مباشرة من التراث اليوناني ، أي ما وصلها بواسطة المسلمين ، وتلقت هذا التراث من دون وسيط ، وتخلت عن ابن رشد وغيره من المفكرين المسلمين كوسطاء في تلقي تراثها .

إن علامة ابن رشد الأمة ، وتوازن حركتها التاريخية ، هو قدرتها على قراءة تراثها ، واكتشافه ، واستنطاقه ، واستلهام منابع القوة والفعالية فيه ، بشكل مباشر

(3/1)

من دون وصي أو دليل يقودها إلى تراثها ، أو يدلها عليه ، لأن تراث الأمة ـ كما ألمحنا ـ هو ذاتها وهويتها ، ولا تحتاج الذات لكي تعي وتكتشف ذاتها إلى وسيط ، فكل ذات حاضرة لذاتها ، وإدراكها لذاتها أمر وجداني ، وربما تسبب الاعتماد على أي وسيط في وعي الذات لذاتها إلى التباس صورة الذات ، وتشوهها ، وتغييب المقومات الرئيسية لها ، كما يتجلى ذلك في الصورة التي غالبا ما يستعيرها بعض الكتاب المتغربين من الباحثين الغربيين المهتمين بالشرق والمجتمعات الشرقية ، فيعاينون أمتهم بواسطة ما رسمه الاستشراق التقليدي من صورة مشوهة للأمة المسلمة وتراثها ، فيغدو التراث وما يحفل به من عناصر فعالة

في دفع مسيرة الأمة نحو التطور والكمال ، معيقا لا بد من الافلات منه ، فيما يضحى تاريخ الأمة ورموزها تركة ثقيلة ، أو بتعبير أحد هؤلاء (كومة أحجار) ! ويستنسخ كل شيء من التراث الغربي ، حتى الأساطير اليونانية القديمة ! في محاولة لتدمير هويتنا من خلال محاولة حذف تراثنا واستبداله بتراث غريب .

وعلى هذا تصير عملية إحياء تراثنا ونشره من المهام الحضارية العظمى التي تتوقف عليها نهضة الأمة ، وتحررها ، واستقلالها ، لأن النهضة تتقوم بالتراث ، وإحياء التراث هو الوسيلة الوحيدة لتقديم هذا التراث بين أيدي الناس ، وتحريره من الغرف المغلقة في خزائن المخطوطات ، ووضعه في متناول الجميع ، وتيسير الانتفاع به ، واستلهام ما يشتمل عليه من إرث حضاري كبير ، يقي الأمة من عمليات مسخ هويتها وتفتيت شخصيتها .

دور القدماء في صيانة التراث وحفظه :

لقد بذل العلماء المسلمون منذ عصر التدوين الأول جهودا كبيرة في كراسة التراث ، وصيانته ، والمحافظة عليه ، ولولا تلك الجهود الرائدة المبذولة في هذا السبيل لتعرض هذا التراث للاضطراب ، والتبعثر ، والضياع التام ، كما

حصل مع تراث بعض الأمم .

وحين نلقي نظرة سريعة على آداب المتعلمين ورواة الحديث . . . وغيرهم من العلماء والباحثين في التاريخ الإسلامي ، نجد لديهم جملة تقاليد علمية تعارفوا عليها واشتهرت فيما بينهم ، كلها تعبر عن حرص واهتمام شديدين على الدقة في تلقي العلوم الإسلامية ، وبالذات الحديث الشريف ، والإتقان والضبط في نسخها ونقلها ، وتداولها ، فمثلا اشتهرت بينهم (الرحلة في طلب الحديث) ، حين يرحل الراوي من الكوفة إلى المدينة المنورة مثلا لأجل ذلك ، (وإجازة الرواية) وغيرها من طرق تحمل الحديث ، تلك الطرق التي تشير إلى الاهتمام الواسع بالحديث الشريف ، والعناية في نقله وروايته .

وقد بلغت الدقة في النقل درجة دأب معها هؤلاء الرواة على تفحص نسخ الكتب ، وتمييزها ما بين نسخ الكتاب الواحد من اختلاف ، وإن كان طفيفا ، كما يؤكد ذلك الشيخ النجاشي (372 . 450 هـ) في حديثه عن نسختي (كتاب السنن والأحكام والقضايا) قائلا : (وذكر شيخنا أن بين النسختين اختلافا

قليلا . . .) (1) .

وينقل الشيخ النجاشي قولا من ما كتبه له أبو العباس أحمد بن علي بن نوح السيرافي حول سؤاله عن الطرق إلى كتب الحسين بن سعيد الأهوازي ، بعد بيان هذه الطرق ، مشددا على الحذر من أي تصرف . مهما كان في النسخ .

(فيجب أن تروي عن كل نسخة من هذا بما رواه صاحبها فقط ، ولا تحمل رواية على رواية ، ولا نسخة على نسخة ، لئلا يقع فيه اختلاف) (2) .

---

(1) النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي فهرست أسماء مصنفي الشيعة ، المشتهر برجال النجاشي ، تحقيق : السيد موسى الشبيري الزنجاني ، قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، 1407 هـ ، ص 6 .

(2) ن . م : ص 60 .

وحينما نقرأ كتاب (رجال النجاشي) مثلا ، نلاحظ وفاء صارما لمنهج علمي أصيل سبق فيه العلماء المسلمون غيرهم بقرون عديدة ، في أسلوب تدوين البيانات حول نسخ الكتب التي يرويها ، فهو يصرح غير مرة عندما لم ير تلك الكتب بقوله مثلا :

(له كتب ذكرها بعض أصحابنا في الفهرستات لم أر منها شيئا) (3) .

وقوله :

(له كتاب . . . ما رأيت هذا الكتاب ، بل ذكره أصحابنا وليس بمشهور أيضا (4) .

أو قوله :

(وإن له كتابا . . . لم أر هذا الكتاب) (5) .

بينما نجده في موارد أخرى يتحدث لنا عن كيفية وصول نسخة الكتاب له ، وطبعة هذه النسخة ، وصحة نسبتها إلى المؤلف ، كما في قوله :

(رفع إلي هذه النسخ نسخة عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الجندي ، شيخنا ، رحمه الله ، قرأتها عليه ، حدثكم أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن عامر ، قال : حدثنا

أبي ، قال : حدثنا الرضا علي ابن موسى عليه السلام . والنسخة حسنة) (6) .
وهكذا يوضح في مورد آخر بشكل صريح أن نسخة الكتاب الذي بيده مقروءة ، فيقول :
(رأيت أبا الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب يقرأ عليه (كتاب الغيبة) تصنيف محمد بن إبراهيم النعماني بمشهد العتيقة ، لأنه كان قرأه عليه ،

---

(3) ن . م : ص 15 .
(4) ن . م : ص 48 .
(5) ن . م : ص 87 .
(6) ن . م : ص 100 .

ووصى لي ابنه أبو عبد الله الحسين بن محمد الشجاعي بهذا الكتاب وبسائر كتبه ، والنسخة المقروءة (المقروة) عندي) (7) .
وربما صرح باسم ناسخ الكتاب أحيانا ، في محاولة للتأكيد على سلامة النسخة ، والوثوق من صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وأنه تلقاه مباشرة من خط فلان ، فهو يقول عن نسخة لكتاب وصله للحسين بن عبيد الله السعدي :
(هذه أبواب الكتاب نقلتها من خط أبي العباس أحمد بن علي بن نوح) (8) .

ويمكن القول : إن هذا المنهج المعتمد لدى القدماء في تثبيت صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه ، من المناهج الدقيقة التي يقطع فيها الطريق على محاولات المنتحلين والوضاعين ، فإن النجاشي مثلا لم يكتف بذكر طريقه أو طرقه للكتاب التي تنتهي بمؤلفه ، وبيان وسائط وصول الكتاب إليه ، وإنما سعى في مرات كثيرة لوصف نوع النسخة أو النسخ ، وناسخها ، ومدى إمكانية الاعتماد عليها ، والاختلاف فيها الناشيء من اختلاف نسخها ، بل حاول أن يكشف لنا أحيانا ما إذا كان الاختلاف يرجع إلى أمر كاختلاف الرواة مثلا ، كما في قوله عن كتاب بكر بن صالح الرازي :
(وهذا الكتاب يختلف باختلاف الرواة عنه) (9) .

وهذا المنهج الذي التزم به النجاشي في تدوين كتابه ، هو نموذج تطبيقي لما تبناه العلماء المسلمون في تدوين مصنفاتهم ، وقد يحسب البعض خطأ أن التقاليد العلمية الحديثة المستخدمة في تحقيق ونشر النصوص التراثية لم تكن معروفة فيما مضى ، ولكن الخبير بالتراث الإسلامي يعرف أن الكثير من الأساليب العلمية في تقويم النصوص وضبطها ، كانت شائعة لدى القدماء ، فقد

---

(7) ن . م : ص 383 .

(8) ن . م : ص 44 .

(9) ن . م : ص 109 .

لاحظنا كيف أن القدماء لا يكتفون بذكر طرقهم المباشرة إلى مؤلفي الكتب ، وإنما يهتمون أيضا بذكر أحوال نسخ الكتب التي وصلتهم ، وأسماء نساخها .

كذلك اهتموا باحترام النصوص ، وعدم العبث فيها ، والحذر من أي تصرف فيها ، ونقلها بالشكل الذي وصلتهم ، وأضحت الأمانة العلمية من أوضح سماتهم في النقل ممن تقدموا عليهم .

يقول القاضي عياض :

(الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ نقل الرواية ، كما وصلت إليهم وسمعوها ، ولا يغيرونها في كتبهم ، حتى طردوا تلك في كلمات من القرآن ، استمرت الرواية في الكتب عليها ، بخلاف التلاوة المجمع عليها . . . لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على خطئها عند السماع والقراءة ، وفي حواشي الكتب ، ويقرأون ما في الأصول على ما بلغهم ، ومنهم من يجسر على الاصلاح) (10) .

وقد تجلت أمانتهم العلمية ، وصيانتهم لآثار من سبقهم ، في حرصهم على مقابلة ما وصلهم أو ما نسخوه من كتب بالأصل الذي سمعوه ، وكتاب الشيخ الذي يرويه ، وأكدوا على أن يكون هذا الأصل المنقول عنه صحيحا متقنا ، كما نص على ذلك القاضي عياض بقوله :

(فليقابل نسخته من الأصل بنفسه حرفا حرفا ، حتى يكون على ثقة ويقين من معارضتها به ، ومطابقتها له ، ولا ينخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابلة ، نعم ، ولا على نسخ نفسه بيده ما لم يقابل

ويصحح ، فإن الفكر يذهب ، والقلب يسهو ، والنظر يزيغ ، والقلم يطغى) (11) .
كما يؤكد العلموي على أن يقابل طالب العلم كتاب (بأصل صحيح

---

(10) القاضي عياض . الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع . تحقيق : السيد أحمد صقر . القاهرة : 1970 م ، ص 185 . 186 .
(11) ن . م : 159 .

موثوق به ، فالمقابلة متعينة للكتاب الذي يرام النفع به) (12) .
وهكذا يشير إلى ضرورة مقابلة النسخة مع الأصل ، والتدقيق في ذلك ، ابن الصلاح الشهرزوري ، حين يقول :
(على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه وكتاب شيخه الذي يرويه عنه وإن كان إجازة . روينا عن عروة بن الزبير . رضي الله عنهما . أنه قال لابنه هشام : كتبت ؟
قال : نعم .
قال : عرضت كتابك ؟
قال : لا .
قال : لم تكتب !
وروينا عن الشافعي الإمام ، وعن يحيى بن أبي كثير ، قال :
(من كتب ولم يعارض كمن دخل الخلاء ولم يستنج) .
وعن الأخفش ، قال :

(إذا نسخ الكتاب ولم يعارض ، ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجميا) (13) .
أما في صورة اختلاف النسخ ، فيحاول القدماء أن ينتخبوا نسخة مقاربة لأصل المؤلف ، وهو أسلوب ربما لا يختلف كثيرا عن الأسلوب المتعارف عند المهتمين بنشر النصوص اليوم ، حين يعتبرون النسخة ذات المواصفات الجيدة هي النسخة الأم ، ويختارون نصا للمؤلف بالاستضاءة بالنسخ الأخرى ، كما يقول

القاضي عياض ذلك في مسألة ضبط اختلاف الروايات :

(وأولى ذلك أن تكون [النسخة] الأم على رواية مختصة ، ثم ما كانت

---

(12) العلموي ، عبد الباسط بن موسى بن محمد . المعيد في أدب المفيد والمستفيد . دمشق : 1349 هـ ، ص 135 .

(13) ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري . علوم الحديث : تحقيق وشرح : نور الدين عتر . دمشق : دار الفكر ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 190 . ص 191 .

---

(198)

من زيادة الأخرى ألحقت ، أو من نقص أعلم عليها ، أو من خلاف خرج في الحواشي ، وأعلم على ذلك كله بعلامة صاحبه ، من أسمه أو حرف منه للاختصار ، لا سيما مع كثرة الخلاف والعلامات) (14) .

ويبدو أن النسخة الأصح ، التي تكون بمثابة الأم كثيرا ما تكون معروفة ، إذا ما تعددت روايات نسخ الكتاب الواحد ، فمثلا يقول ياقوت عن كتاب (المفضليات) للمفضل بن محمد الضبي :

(المفضليات : وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي ، وفي بعض نسخها زيادة ونقص ، وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله بن الأعرابي) (15) .

ولم يقتصر الأمر على الاهتمام بنسخ الكتاب ، وانتقاء الأصح منها ، وإنما حاول القدماء معالجة بعض المشكلات التي يتعرض لها النساخ عندما ينسخون الكتاب ، فقد يغفل الناسخ ويحصل سقط من الكتاب المنسوخ ، أو قد يكون العكس فيدخل في الكتاب ما ليس فيه ، وربما التبس عليه الأمر في كتابة الحروف المتشابهة ، فماذا يعمل إزاء مثل هذه الحالات ؟

لقد ترك القدماء قواعد هامة تحدد ما ينبغي من مواقف في أمثال هذه الحالات ، فمثلا حينما يسقط من الكتاب شيء ، قرروا بأن (المختار في كيفية تخريج الساقط في الحواشي ، ويسمى اللحق . بفتح الحاء . وهو : أن يخط من موضع سقوطه من السطر خطا صاعدا إلى فوق ، ثم يعطفه بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق ، ويبدأ في الحاشية بكتبة اللحق مقابلا للخط المنعطف ، وليكن ذلك في حاشية ذات اليمين ، وإن كانت تلي وسط الورقة إن اتسعت له ، وليكتبه صاعدا إلى أعلى الورقة

لا نازلا به إلى

---

(14) القاضي عياض . مصدر سابق : ص 189 .

(15) ياقوت الحموي . معجم الأدباء . تحقيق : مرجليوث . القاهرة : مطبوعات دار المأمون ، 19 / 167 .

أسفل) (16) .

أما في حالة الزيادة ، فقد قرروا بأنه (إذا وقع في الكتاب ما ليس منه ، فإنه ينفى عنه بالضرب ، أو الحك ، أو المحو ، أو غير ذلك ، والضرب خير من الحك والمحو) (17) والمعروف بينهم أن (أجود الضرب أن لا يطمس المضروب عليه ، بل يخط من فوقه خطا جيدا بينا يدل على إبطاله ، ويقرأ من تحته ما خط عليه) (18) .

وفي مورد الحروف المتشابهة ، وغيرها من الموارد التي توجب الالتباس حين قراءة النص ، أكد القدماء على أن يعجم المعجم من الحروف ، ويضبط اللفظ ويشكل بعلامات الشكل المعروفة ، كما نص على ذلك العلموي بقوله :

(وإذا صحح الكتاب بالمقابلة على أصل صحيح ، أو على شيخ ، فينبغي أن يعجم المعجم ، ويشكل المشكل ، ويضبط الملتبس ، ويتفقد مواضع التصحيف) (19) .

وخشية وقوع التصحيف والإبهام دأب القدماء في بعض مصنفاتهم على ضبط الأحرف المتشابهة بالكلمات ، فتجدهم يثبتون الفرق بين الحاء والجيم والخاء مثلا ، بقولهم عن الأولى بـ (المهملة) ، والثانية بـ (المنقوطة من تحت) ، والثالثة بـ (المنقوطة من فوق) وهو يمثل درجة عالية من الاحتراز عن الغموض والإبهام في قراءة النص .

وربما لجأ بعضهم إلى أساليب أخرى لتجنب أي شكل من أشكال عدم وضوح الكتابة ، فقد أفاد القاضي عياض ، بأنه ينبغي للناسخ أن يحدد برمز خاص الحرف المهمل أيضا ، باعتبار أن غير المهمل يتحدد من خلال النقاط

(16) ابن الصلاح . مصدر سابق : ص 193 . 194 .

(17) ن . م : 198 .

(18) ن . م : 199 .

(19) العلموي . مصدر سابق : ص 135 .

من فوق أو تحت ، إذ يقول :

(وكما نأمره بنقط ما ينقط للبيان ، كذلك نأمره بتبيين المهمل ، بجعل علامة الاهمال تحته ، فيجعل تحت الحاء حاء صغيرة ، وكذلك تحت العين عينا صغيرة ، وكذلك الصاد والطاء والدال والراء ، وهو عمل بعض أهل المشرق والأندلس . . . ومنهم من يقلب النقط في المهملات ، فيجعله أسفل ، علامة لإهماله) (20) .

تلك إشارات سريعة أفصحت عن بعض الملامح من منهج القدماء في صيانة التراث والحفاظ عليه ، والدقة والأمانة في نقله وتداوله ، وهذا المنهج الذي ولد في أحضان التراث ، استجاب في عصر الكتاب المخطوط وقبل ظهور الطباعة ، لحاجة ماسة في نفي التصحيف عن المخطوطات ، وتطابقها مع الأصل الذي كتبه المؤلف ، وحمايتها من أية محاولات غادرة للسطو ، أو التشويه ، أو لانتحال .

ومما لا شك فيه أن وصول عدد جيد من الكتب المخطوطة من تراث العصر الإسلامي الأول ، بصورة سالمة وصحيحة ، ما كان له أن يتم لولا العناية الفائقة المستندة إلى قواعد وتقاليد علمية دقيقة ، في نسخ الكتاب ، ومقابلته على الأصل ، والأمانة في تلقيه ونقله للآخرين .

بداية نشر التراث العربي الإسلامي

وصلنا عدد وفير من المخطوطات العربية ، قدرة البعض بنحو ثلاثة ملايين نسخة ، منتشرة في خزائن المخطوطات في مختلف أنحاء العالم ، وتشتمل هذه المخطوطات على مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن ، والحديث

(20) القاضي عياض . مصدر سابق : ص 157 .

قبلصلة

في رحاب نهج البلاغة

(5)

نهج البلاغة عبر القرون

شروحه حسب التسلسل الزمني

السيد عبد العزيز الطباطبائي

لقد حظي نهج البلاغة من أول يوم بعناية العلماء والأدباء ، فجلب أنظارهم واستقطب جهودهم ، فبادروا إلى روايته وقراءته وإجازته واستنساخه ومقابلته والتعليق عليه ، فلم نر في تراثنا الخالد ما يوازيه في كثرة المخطوطات القديمة ، ولا ما يدانيه أو يبلغ نصف ذلك كما تقدم الايعاز إليه .

وكذلك تناوله العلماء والأدباء بالشرح منذ القرن السادس وحتى يومنا هذا ، بحيث يتعذر أو يتعسر إحصاء شروحه جميعها ، وأول من تناولها بالإحصاء :

1 . المحدث النوري . المتوفى سنة 1320 هـ . فسردها في خاتمة المستدرك ، ص 513 ، فبلغت 26 شرحا .

2 . الحجة المجاهد السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله . المتوفى سنة 1371 هـ . أحصاها في أعيان الشيعة 8 / 245 ، فعد 31 شرحا .

3 . وتطرق لها السيد هبة الدين الشهرستاني . المتوفى سنة 1386 هـ . في كتابه (ما هو نهج البلاغة ؟) المطبوع سنة 1352 هـ فنقل ما ذكره المحدث النوري وزاد عليه فبلغ بها إلى 45 شرحا .

4 . ثم عبد العزيز الجواهري النجفي ، نزيل طهران . المتوفى بها سنة

---

(155)

هـ . عدها في (فهرست كتابخانه عمومي معارف) المطبوع سنة 1353 هـ ، في ج 1 ص 141 . 147 ،

فلغت 51 شرحا .

5 . ثم الشيخ ضياء الدين ابن يوسف الحدائقي الشيرازي . المتوفى أول رجب سنة 1408 هـ ، في ج 2 ص 124 . 139 ، فأنهاها إلى 66 شرحا .

6 . وشيخنا الحجة الأميني قدس الله روحه . المتوفى سنة 1390 هـ . في كتابه المنقطع النظير : (الغدير) في ترجمة الشريف الرضي ، في المجلد الرابع منه ، فأنهاها إلى 89 شرحا .

7 . وزميلنا العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي دام مؤيدا ، سردها في مقدمته لطبع (شرح نهج البلاغة) لشارح من القرن الثامن ، وأنهاها إلى 83 شرحاً.

(1/2)

---

8 . والعلامة الجليل السيّد عبد الزهراء الخطيب . المتوفّي 11 رجب سنة 1414 هـ . أحصاها في كتابة الدائر السائر (مصادر نهج البلاغة) 1 / 203 . 254 ، وأنهاها إلى 101 شرحاً.

9 . وشيخنا الحجة ، كبير الباحثين الشيخ آقا بزرك الطهراني ، قدس الله روحه . المتوفى سنة 1389 هـ . منحها . كالمعتاد . دراسة شاملة في موسوعته الخالدة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في ج 14 ص 111 . 161 ، المطبوع سنة 1381 هـ ، فأنهاها إلى 148 شرحا .

10 . الشيخ حسين جمعة ، المعاصر ، أفرد كتابا لدراسة الشروح ، طبع في بيروت سنة 1403 هـ وسنة 1413 هـ في 172 صفحة بأسم (شروح نهج البلاغة) وأنهاها إلى 210 شرحا .

11 . الشاب العراقي النبيل عبد الله المنتفكي ، له : (معجم شروح نهج البلاغة) لم يطبع بعد .

هذا ما وفقنا عليه من إحصائيات الشروح ، والمكثرون منهم ربما حصل

---

(156)

لهم بعض التكرار ، وربما عدوا بعض الترجمات المحضة شروحا ، ثم إنهم عدوا شرح خطبة واحدة كالشقشقية وخطبة همام ونحوهما من شروح نهج البلاغة ، وكذا شرح كلام واحد كشروح عهده عليه السلام إلى الأشتر ، أو شروح بعض الحكم وقصار الكلم عدوها من شروح (نهج البلاغة) .

على أن كلا من العهد ، والحكم ، له عشرات الشروح ، ربما تبلغ المائة شرح ، وأنا لا أعد هذه كلها من شروح النهج ، وإنما أقتصر على شرح نهج البلاغة نفسه ، سواء أتمه الشارح أو لم يقدر له أن يتمه ، مبسوطا كان أو على نحو التعليق والشروح الموجزة ، وأما شرح الخطبة الواحدة ونحوها فلا أعده من

الشروح .

وأنا أذكر شروح (نهج البلاغة) بشيء من البسط والتفصيل في ترجمة الشارح ، مستوعبا جوانب البحث عسى أن يكون فيه بعض المعلومات المستجدة ، ولا يكون تكرارا واجترارا ، ونظمت الشروح حسب التسلسل الزمني ، فأقول : إنهم كما اختلفوا في عدد الشروح اختلفوا في أقدمها وفي :

أول من شرح (نهج البلاغة) ؟

---

1 . فقالوا : هو علي بن ناصر ، مؤلف : أعلام نهج البلاغة . وهو شرحه عليه . وهو معاصر الشريف الرضي ، فهو أول من شرحه (1) .

2 . وقالوا : هو الشريف المرتضى . علم الهدى ، أخو الرضي ، لما شرح الخطبة الشقشقية (2) .

3 . وقالوا : بل هو الشريف الرضي نفسه ، هو أول من شرح (نهج

---

(1) كشف الحجب : 53 ، الذريعة 2 / 240 و 14 / 139 ، الغدير 4 / 186 ، أعيان الشيعة 8 / 245 و 363 وفي الطبعة السابقة 41 / 266 و 267 ، مصادر نهج البلاغة 1 / 203 ، طبقات أعلام الشيعة / القرن الخامس : 132 ، فهرست المكتبة المركزية لجامعة طهران 5 / 1606 .

(2) الذريعة 14 / 139 .

البلاغة) ، حين شرح بعض الفقر خلال الخطب وفسر بعض المواد اللغوية ، فهو أول الشراح (3) .

4 . وقالوا : هو قطب الدين الراوندي . المتوفى سنة 573 هـ . مؤلف : منهاج البراعة (4) .

5 . وقالوا : هو ظهير الدين البيهقي ، علي بن زيد ، فريد خراسان . المتوفى سنة 565 هـ . مؤلف : معاج نهج البلاغة (5) .

6 . وقالوا : هو الإمام الوبري ، أحمد بن محمد الخوارزمي ، من أعلام القرن السادس (6) .

والأول لا يصح .

لأن المؤلف من أعلام القرن السابع ! فقد أرخ في كتابه (زبدة التواريخ) وفاة الأتابك أوزبك في سنة 622 هـ ، والله العالم كم عاش بعدها .

وأول من صدر منه هذا الوهم ، فزعم أن علي بن ناصر كان أول من شرح (نهج البلاغة) هو السيد إعجاز حسين الكنتوري . رحمه الله . ذكر ذلك في كتابه (كشف الحجب) ثم تبعه من بعده ، كصاحب الذريعة ، وصاحب الغدير ، وصاحب أعيان الشيعة اعتمادا عليه .

---

(3) الذريعة 14 / 137 و 139 و 146 ، الأستاذ دانش بزوه في مقدمته لشرح البيهقي على نهج البلاغة : 48 ، والعطاردي في مقاله عن الشراح القدامى . في (كاوشي در نهج البلاغة . : 277 وعد ثانيهم المرتضى في : 278 .

---

(4) ابن أبي الحديد في مقدمة شرحه على نهج البلاغة 1 / 6 ، رياض العلماء 2 / 421 ، والعطاردي في مقدمته على شرح الكيدري 1 / 13 .

(5) البيهقي نفسه قال في مقدمة شرحه ، ص 4 : ولم يشرح قبلي من كان من الفضلاء السابقين هذا الكتاب . . .

والمحدث النوري في خاتمة المستدرك 3 / 489 و 513 ، والخياباني في وقائع الأيام ، والشهرستاني في : ما هو نهج البلاغة ، والمحدث القمي في الكنى والألقاب 3 / 28 .

(6) ابن يوسف الشيرازي في فهرست مكتبة سبهسالار 2 / 123 ، عبد العزيز الجواهري في فهرست مكتبة المعارف الإيرانية 1 / 144 .

وإنما نشأ هذا الوهم على أثر جملة وردت في بداية الكتاب ، وذلك أن السيد علي بن ناصر . رحمه الله . كان قد نظم أبيات في تقريظ (نهج البلاغة) ، فأملاها على بعض تلامذته ، ضمن شرحه نهج البلاغة فكتب : قال السيد دام علوه . . وأورد الأبيات ، وحين رأى الكنتوري عند تصفحه للكتاب في نظرة خاطفة جملة (قال السيد دام علوه) توهم أنه كلام الشارح ، ويريد به الشريف الرضي ، فبنى على أنه شرح النهج في حياة الرضي ، فهو أول شراحه وهو معاصر الرضي !

ولم يتصفح الكتاب أكثر فيرى أنه يحكي فيه عن الوبري ويحكي عن الراوندي . المتوفى سنة 573 هـ . في عدة مواضع معبرا عنه بقوله : قال بعض الشارحين . . .

والنص الذي يحكيه هو لقطب الدين الراوندي موجود في شرحه حرفيا ، ولربما كان علي بن ناصر أول شراح (نهج البلاغة) في القرن السابع ، فإن الوبري والبيهقي والراونديين والكيدري والماهابادي والفخر الرازي كلهم شراح (نهج البلاغة) في القرن السادس .

والثاني أيضا لا يصح .

(4/2)

فإن الشريف المرتضى وإن كان قد شرح الخطبة الشقشقية إلا أنه لم يثبت أنه أخذها من (نهج البلاغة) وشرح الخطبة التي في النهج ، بل هو بنفسه كأخيه كان له طرق وأسانيد إلى رواية خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، ورسائله وحكمه وشعره وغير ذلك ، وكان له طرق وأسانيد إلى رواية كتب الأقدمين ممن ألف كتبا مفردة في جمع خطب أمير المؤمنين ورسائله عليه السلام ، كالكلبي والواقدي وأبي مخنف والمدائني وابن المديني والسيد عبد العظيم الحسني وإبراهيم الثقفي والجلودي وغيرهم (7) فكان يرويها عن مشايخه كالشيخ المفيد مثلا بطرقه

---

(7) راجع : تراثنا ، العدد الخامس ، ص 27 . 41 .

وأسانيده إلى مؤلفيها كما كان يرويها أخوه الرضي وكما يرويها الشيخ الطوسي والنجاشي في فهرستيهما (8) .

والثالث أيضا خطأ .

فإن الشريف الرضي وإن كان تكلم على بعض الفقر ، وفسر بعض الجمل ، إلا أن ذلك لا يعد شرحا على (نهج البلاغة) ، بل (نهج البلاغة) اسم لهذا الكتاب المجموع ما احتواه من خطب ورسائل ونصوص وما يتبعه من تفسير وشروح لغوية .

وهذا الوهم نشأ من تخيل أن (نهج البلاغة) اسم لخطب أمير المؤمنين عليه السلام ، كما حدث مثله لابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، حيث ترجم لابن نباتة فقال : وكان بارعا في الأدب وكان يحفظ (نهج البلاغة) وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها (9) .

وابن نباتة توفي سنة 374 هـ قبل أن يؤلف الرضي (نهج البلاغة) بستة وعشرين سنة ، فإنه فرغ من تأليفه

في رجب سنة 400 هـ ، وتقديره أنه حفظ (نهج البلاغة) قبل تأليفه بخمسين سنة ، وهذا يتوجه بتخيل أن (نهج البلاغة) اسم لخطب أمير المؤمنين عليه السلام فيريد أنه كان يحفظ خطبه عليه السلام فعبر عنها بـ (نهج البلاغة) .

والرابع أيضا لا يصح .

فإن القطب الراوندي قد فرغ من شرحه على (نهج البلاغة) أواخر شعبان

---

(8) راجع تراجم هؤلاء المؤلفين في فهرستي الشيخين الطوسي والنجاشي .

(9) النجوم الزاهرة 4 / 146 ، وابن نباتة هو عبد الرحيم بن محمد الفارقي ، ولد سنة 335 ، وتوفي سنة 374 هـ .

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء 16 / 321 وقال : الإمام البليغ الأوحد ، خطيب زمانه . . .

صاحب الديوان الفائق في الحمد والوعظ ، وكان خطيبا بحلب للملك سيف الدولة ، وكان خطيبا مفوها ، بديع المعاني ، جزل العبارة ، رزق سعادة تامة في خطبه . . .

أقول : والفضل كله يعود إلى حفظه لخطب أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه .

سنة 556 هـ ، والسيد فضل الله الراوندي والإمام الوبري وظهير الدين البيهقي فريد خراسان قد سبقوه إلى ذلك ، فقد فرغ البيهقي من شرح النهج سنة 552 هـ ، وقد شرحه بعد السيد فضل الله الراوندي والوبري ، فالراوندي . على هذا . رابع الشراح لا أولهم .

والخامس ، وهو البيهقي أيضا لا يصح .

كما عرفت ، فالوبري كان قد شرح (نهج البلاغة) قبل البيهقي ، وهو ينقل فيه عن الوبري في شرحه في مواضع كثيرة .

والسادس أقربها إلى الصواب .

وهو أن يكون الوبري أول من شرح (نهج البلاغة) كما ظهر مما تقدم . وأل من ذهب إلى هذا القول ونبه عليه ، هو العلامة الشيخ ضياء الدين ابن يوسف الحدائقي الشيرازي (10) .

وأنا أقول : ربما يكون أقدم الشراح وأولهم ، هو السيد فضل الله الراوندي ، إذ نعلم أنه . رحمه الله . رحل من كاشان إلى بغداد لطلب العلم في سن مبكرة ، وقرأ هناك على أعلامها ، ووجد بها نسخة الأصل من (نهج البلاغة) بخط المؤلف الرضي . رحمه الله . فنسخ عليها نسخة لنفسه وفرغ منها في ربيع الأول سنة 511 هـ .

ثم أخذ يعلق عليه القيود والشروح ويفسر غريبه ويوضح مبهمه ، فكان أحد الشروح المذكورة في الذريعة وغيره .

وعلى هذا يكون هذا الكتاب أقدم الشروح وأولها ، والسيد أبو الرضا الراوندي أول الشراح ، فلنبدأ به قبل الوبري

---

(10) هو من نسل صاحب الحدائق ، توفي . رحمه الله . في شيراز بعد عناء وبلاء أول شهر رجب سند 1408 ذكره في : فهرست كتابخانه مدرسة عالي سبهسالار 2 / 123 ، المطبوع سنة 1358 .

---

(161)

القرن السادس

(1)

شرح السيد فضل الله الراوندي

هو السيد الإمام ضياء الدين تاج الإسلام علم الهدى أبو الرضا فضل الله ابن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسن ابن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب (11) عليهم السلام الكاشاني الراوندي ، وراوند من قرى كاشان (12) .

من ألمع أعلام القرن السادس أستاذ أئمة عصره ، ترجم له معاصروه مع الاطراء الكثير ، قال السمعاني في الأنساب (القاساني) : هذه النسبة إلى قاسان وهي بلدة عند قم . . . دخلتها وأقمت بها يومين وأهلها من الشيعة ، وكان بها جماعة من أهل العلم والفضل . . وأدركت بها السيد الفاضل أبا الرضا فضل الله بن علي العلوي الحسني القاساني ، وكتبت عنه أحاديث وأقطاعا من شعره ، ولما وصلت إلى باب داره قرعت الحلقة وقعدت على الدكة أنتظر خروجه ، فنظرت إلى الباب فرأيت مكتوبا فوقه بالجص : (إنما يريد الله

ليذهب

---

(11) كتب هذا بخطه بأول مخطوطة أمالي المرتضى سنة 568 هـ ، الموجودة في الإسكوريال ، رقم 145 ، المطبوعة صورتها بأول (الأمالي) طبعة أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة ، وقد أجاز رواية الكتاب للحسين بن أبي عبد الله الخومجاني ، ووقع بأسفل الإجازة ، وسرد نسبه كله .

(12) قال ياقوت في معجم البلدان : قاشان . بالشين المعجم وآخره نون . مدينة قرب أصبهان . وأهلها كلهم شيعة .

---

(162)

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . . . (13) .

(7/2)

وترجم له تلميذه الآخر وهو الشيخ منتجب الدين ابن بابويه الرازي في الفهرست ، رقم 334 ، وقال : علامة زمانه ، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب ، وكان أستاذ أئمة عصره ، وله تصانيف . . . شاهدته وقرأت بعضها عليه .

وأطراه معاصره نصير الملة عبد الجليل القزويني في كتاب النقض ، ص 198 ، عند كلامه على كاشان ومدارسها العامرة ، ما معربه : كيف ومدرسها السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسني . منقطع النظير في بلاد العالم في علمه وزهده .

وترجم له العماد الكاتب في خريدة القصر (قسم شعراء إيران) وقال : الشريف النسب ، المنيف الأدب ، الكريم السلف ، القديم الشرف ، العالم العامل ، المفضل الفاضل ، قبلة القبول ، وعقلة العقول ، ذو الأبهة والجمال ، والبديهة والارتحال ، الرائق اللفظ ، الرائع الوعظ ، متقن علم الشرع في الأصل والفرع ، الحسن الخط والحظ ، السعيد الجد ، السديد الجد ، له تصانيف كثيرة

---

(13) والنص محرف في المطبوع من الأنساب ، ونقل عنه قبل تحريفه السيد علي خان المدني ، ابن معصوم . المتوفى سنة 1120 هـ . في ترجمة الراوندي هذا من (الدرجات الرفيعة) فقال في ص 506 . قال أبو سعد السمعاني في كتاب (الأنساب) : لما وصلت إلى كاشان ، قصدت زيارة السيد أبي الرضا (

المذكور) فلما انتهيت إلى داره وقفت على الباب هنيئة أنتظر خروجه ، فرأيت مكتوبا بأعلى طراز الباب هذه الآية المشعرة بطهارته وتقواه : (إنما يريد الله . . .) فلما اجتمعت به رأيت منه فوق ما كنت أسمع عنه ، وسمعت منه جملة من الأحاديث ، وكتبت عنه مقاطيع من شعره .

أقول : وهكذا نقله السيد الأمين في أعيان الشيعة 8 / 408 ، وترجم له السمعاني في ذيله على تاريخ بغداد أيضا ، كما ذكر العماد الكاتب في (الخريدة) ، قال : وذكره السمعاني في مذيل تاريخ بغداد ، ونقلت من خطه . . .

في الفنون والعيون ، واعظ قد رزق قبل الخلق ، وفاضل أوتي سعة في الرزق ، مقلي الكتابة ، صابي الإصابة ، عميدي الاعتماد في الرسائل ، صاحبي الصحبة لأهل الفضل .

حصلنا إبان النكبة بقاشان . . . سنة 533 وأنا في حجر الصغر . . . وأقمنا سنة نتردد إلى المدرسة المجدية إلى المكتب ، وكنت أرى هذا السيد . أعني أبا الرضا . وهو يعظ في المدرسة والناس يقصدونه ويترددون إليه ويستفيدون منه . . . (14) .

وممن ترجم له من غير معاصريه : السيد علي خان المدني ابن معصوم ، في الدرجات الرفيعة ، ص 506 ، قال : الإمام الراوندي علامة زمانه ، وعمد أقرانه ، جمع إلى علو النسب كمال الفضل والحسب ، وكان أستاذ أئمة عصره ، ورئيس علماء دهره ، له تصانيف تشهد بفضله وأدبه ، وجمعه بين موروث المجد ومكتسبه . . .

أقول : كان . رحمه الله . علامة مشاركا في جملة من العلوم ، أديبا شاعرا ، فقيها ، محدثا ، رحل في طلب العلم ولقي المشايخ الكبار في بغداد وغيرها من البلاد ، وإليك أسماء . .

شيوخه :

1 . أبو نصر الغازي ، أحمد بن عمر بن محمد الأصفهاني (448 . 532 هـ) .

2 . أبو العباس أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن ناقه المسلي الكوفي

---

(14) نقله السيد الأمين . رحمه الله . في أعيان الشيعة ، عن مخطوطة (الخريدة) رآها في بغداد ، ونقله

المحدث الأرموي في مقدمة ديوان الراوندي عن مخطوطة سبهسالار ، و (خريدة القصر) قسم شعراء إيران ، لم يطبع بعد ، ومنه مخطوطة في مكتبة مدرسة سبهسالار (مطهري) في طهران .

---

(164)

(477 . 559 هـ) .

3 . أبو الفتح ، وأبو الأسعد الإخشيدي ، إسماعيل بن الفضل بن أحمد ابن محمد بن علي ابن الإخشيد الأصفهاني السراج ، المتوفى سنة 524 هـ .

4 . الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدوريستي .

5 . الحسن بن أحمد بن الحسن ، أبو علي الحداد الأصفهاني (419 . 515 هـ) .

---

6 . المفيد الثاني ، الشيخ أبو علي الحسن ابن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي .

7 . القاضي عماد الدين أبو محمد الحسن بن محمد الاسترآبادي ، قاضي الري .

8 . الشيخ أبو القاسم الحسن بن محمد الحديقي .

9 . أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال الأصفهاني الأثري الأديب (443 . 532 هـ) .

10 . أبو عبد الله البارع الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الحارثي ، ابن الدباس البغدادي الأديب المقري (. 524 هـ) .

11 . أبو عبد الله الحسين بن المؤدب القمي .

12 . السيد نجم الدين حمزة بن أبي الأغر علي بن الحسين العلوي الحسيني ، نقيب كربلاء .

13 . السيد عماد الدين أبو الصمصام ذو الفقار بن محّمد بن معبد الحسني المروزي ، نزيل بغداد (405 . 536 هـ).

14 . أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محّمد النيسابوري الشحامي الشروطي المستملي (446 . 533 هـ) 0.

15 . السيد ظفر بن الحسين ابن المظفر ، يروي عن الحسن بن جعفر الدوريستي .

وعلومه ، والتاريخ ، والتراجم ، واللغة العربية وآدابها ، والكلام ، والفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات ، والهيئة والفلك ، والعلوم الطبيعية الأخرى ، ففي كل حقل من حقول المعرفة نجد عددا غير قليل من النسخ الخطية ، وقد حاول الباحثون الغربيون منذ القرن العاشر الميلادي الاستفادة من هذا التراث الهائل ، فعملوا على جمعه وملاحقة مظان وجوده ، بواسطة قنوات الاتصال بينهم وبين الحضارة الإسلامية ، من خلال صقلية ، والأندلس ، والحروب الصليبية ، والرحالة الأوربيين في المشرق الإسلامي ، وأخيرا المستشرقين وسماسرتهم في العالم الإسلامي ، فتراكمت لديهم ثروة واسعة من المخطوطات العربية النفيسة ، توزعت في مكتبات أوروبا (21) ، وأضحت فيما بعد ترسانة معرفية ، شكلت أساسا لاستلهام وتكوين صورة الإسلام والشرق في الوعي الغربي ، إذ عمل الباحثون الغربيون على التقاط ما أرادوه من هذا التراث ، بعد أن اقتطعوه من جسمه العام ، وأعادوا تركيبه ، لتأتلف منه صورة للإسلام وتراثه وإنسانه ، تتطابق مع حقد الإنسان الأوروبي التاريخي إزاء الإسلام .

وتمثلت المحاولات الأولى في عمل الأوروبيين على هذا التراث المخطوط ، بترجمة مختارات منه ، من أجل الاستفادة من ما اكتنزه من إبداع وابتكار ، في الرياضيات ، والهيئة ، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ، كما حاولوا الاتصال بما لم يصلهم من التراث اليوناني ، بواسطة ما نقل منه إلى العربية ، وما اكتسبه من تنقيح وتطوير وتكميل على يد الفلاسفة المسلمين ، حتى إذا حصلوا على أصوله اليونانية أو اللاتينية القديمة ، تعاملوا معه مباشرة .كما ألمحنا أول الكلام . .

---

(21) راجع بشأن ذلك فصل : (انتقال التراث العربي المخطوط إلى ديار الغرب) من كتاب : رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادة : 257 . 319 ، لمحمد ماهر حمادة . بيروت : مؤسسة الرسالة .

ولم تتوقف الترجمات عند هذه الكتب ، وإنما شملت في مرحلة لاحقة لونا آخر من هذا التراث ، وهو ما تقدمت الإشارة له قبل قليل ، من قبيل (قصص ألف ليلة وليلة) وغيرها من موروث فلكلوري ، أو ما يرتبط بالشخصيات الماجنة والقلقة في تاريخنا مثلا ، لكي تتشكل صورة الإسلام والمسلمين في إطار هذه

القصص والشخصيات ، وتعمم هذه الصورة للأجيال الآتية من الأوروبيين ، فيظل هذا الإنسان يشعر بالتفوق ، ويسوغ هيمنته وتسلطه واستعماره للمجتمعات الشرقية .

وتمثلت الخطوة اللاحقة في تعامل الغربيين مع التراث العربي المخطوط الذي وقع بأيديهم ، بالسعي لطباعة ونشر مختارات منه ، على أساس لا يبتعد عن هدفهم في ترجمة بعض مفرداته .

من هنا يمكن القول بوضوح ، إن سعي الأوروبيين قبل قرون عديدة لانتزاع المخطوطات العربية من أيدي أهلها والاستحواذ عليها ، واستهلاك جهود جبارة في تجميعها والاحتفاظ بها ، وترجمة بعضها ، وأخيرا نشر بعضها الآخر ، إنما يعود جزء كبير من هذا العمل الدؤوب ، إلى محاولة الهيمنة على الإنسان الذي أعطى هذا العطاء الكبير للإنسانية ، لأن أفضل وسيلة لاكتشاف أية أمة ومعرفتها بجلاء ، هي تفحص تراثها ودراسته وتحليله ، والعلم بعناصر القوة والضعف فيه ، فيجري طمس وإقصاء لعناصر القوة هذه ، فيما يجري في الوقت نفسه تأكيد لإثارة مكامن الضعف ، لتدمير شخصية الأمة وتشويه تاريخها ، وإثارات النعرات والفتن المنسية في ذلك التاريخ .

وهذا ما عمله بعض المستشرقين ، عندما اجتزأوا مفردات محددة من تراثنا ، وترجموها ونشروها ، بعد أن اقتطعوها من سياقها العام وظروفها الزمنية الخاصة ، وحاولوا الايحاء بأن هذه المفردات تعبر عن هوية الأمة المسلمة ، وتجسد تجربتها الحضارية .

ومما ينبغي التنويه به ، أن جماعة من المستشرقين بذلوا جهودا علمية

هائلة في نبش التراث الإسلامي وتحقيقه ونشره ، وتكشيفه وفهرسته ، ولكن عددا غير قليل منهم كانوا ضحية منهاهجهم الخاصة ، التي أملتها النظرة المركزية الأوروبية ، وروح السيطرة الاستعمارية ، فكان عملهم في تحقيق التراث ونشره ، وترجمته ، يستمد مرجعيته من تلك النظرة ، ولذا لم يستطع هؤلاء أن يخفوا هذه الروح ، التي تجلت بشكل واضح في معظم أعمالهم .

* * *

في هذا الضوء يمكن أن نعرف السبب الذي دعا بعض الأوروبيين للاهتمام بنشر التراث العربي الإسلامي في وقت مبكر ، فقد تم طبع القرآن الكريم في مطبعة باغانيني بالبندقية ، ويبدو من بعض القرائن أنه طبع

سنة 1499 م ، بينما يذكر آخرون أنه ربما طبع سنة 1509 م ، أو بعد ذلك (22) ، إذ رجح البعض أن يكون تاريخ طبعه سنة 1530 م تقريبا ، إلا أن جميع النسخ التي طبعت أحرقت ، وكانت هذا الطبعة كاملة لكل القرآن ، ولم يعثر لها على أثر حتى الآن ، وأقدم من ذكرها هو أربنيوس في كتابه (مبادئ اللغة العربية ، ليدن 1620 م) (23) .

ومنذ لك التاريخ ، نلاحظ اهتماما متناميا في طبع الكتاب العربي ونشره ، مع العلم أنه لم تمض بعد سنوات طويلة على ظهور الطباعة في أوروبا ، فقد ظهرت نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد تتابع نشر بعض الكتب ببطء في بداية الأمر ، ثم ما لبث أن أزداد بنحو تدريجي بعد قرن من الزمان ، حتى أضحت حركة نشر التراث العربي الإسلامي في أوروبا واسعة جدا مع مرور الأيام ، لتبلغ ذروتها في القرن التاسع عشر ، عصر تعاظم نفوذ الاستعمار الغربي ، وتسلطه على الكثير من أقاليم العالم الإسلامي .

---

(22) ن . م ، ق 1 : ص 246 .

(23) بدوي ، د . عبد الرحمن . موسوعة المستشرقين : بيروت : دار العلم للملايين ، ط 3 (طبعة جديدة منقحة ومزيدة) ، 1993 م ، ص 438 .

وسنحاول فيما يلي أن نرصد حركة نشر التراث العربي الإسلامي في أوروبا على عجل ، بالتعرف على أبرز المؤلفات التي عمل على نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر .

يعد كتاب (البستان في عجائب الأرض والبلدان) لمؤلفه سلاميش بن كند غدي الصالحي ، أقدم كتاب عربي نشر في روما عام 1585 م ، على يد الطباع البندقي بازا ، وكان هذا الكتاب هو الكتاب العربي الأول المطبوع هناك ، بعد أن كانت المطبوعات العربية الأولى مقتصرة على المنشورات الكنسية (24) .

وكانت (أول مطبعة عربية في أوروبا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال فرنندودي مدتشي ، كبير دوقات توسكانا ، وكان يرئس هذه المطبعة ، التي كان مقرها في روما ، شاب إيطالي من بلدة كريمونا ، يدعى جيوفني بتستا رايموندي ، الذي أقام في المشرق فترة طويلة ، ويحتمل أنه تعلم العربية ، وعلى كل حال ، فإنه اهتم بالخطوط العربية ، والحروف العربية وخصائصها ، فاستطاع أن يصنع حروفا عربية مختلفة الأوضاع

: مفردة ، متصلة بما قبلها ، متصلة بما بعدها ، في آخر الكلمة ، وأتم حفر وتقطيع هذه الحروف العربية المتحركة المرسومة رسما جميلا ، وابتداء من 6 سبتمبر 1586 اشتغلت المطبعة في جمع وطبع أول إنتاج لها ، وهو كتاب (القانون) لابن سينا ، ومعه (كتاب النجاة) الذي هو مختصر (الشفاء) ، وتم إنجاز طبع (القانون) ومعه (النجاة) في 1593) (25) ، وقد حمل غلاف الكتاب المطبوع هذا العنوان : (كتب القانون في الطب ، لأبي علي الشيخ الرئيس ابن سينا ، مع بعض تأليفه وهو : علم المنطق وعلم الطبيعي وعلم الكلام) .

---

(24) حمادة ، محمد ماهر ، مصدر سابق . ق 1 : ص 248 .

(25) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق . ص 551 .

وفي عام 1592 م طبعت مطبعة مدتشي في روما كتاب (الكافية) لابن الحاجب ، وكتاب (الآجرومية) لابن آجروم ، كما طبعت في نفس هذا العام 1592 م كتاب (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق) للشريف الإدريسي ، وفي عام 1594 م طبع فيها كتاب (تحرير أصول أوقليدس) للخواجه نصير الدين الطوسي ، بعد أن حصلت على امتياز ونشر هذا الكتاب من السلطان مراد الثالث ، ثم توقفت عن العمل حتى عام 1610 م ، وفي هذا العام طبعت (كتاب التصريف) للعزي ، وكان هذا الكتاب آخر كتاب تولت طباعته هذه المطبعة العربية الأولى في أوروبا ، فقد توفي رايموندي عام 1614 م (26) .

تحقيق التراث في القرن السابع عشر الميلادي

لقد شهد القرن السابع عشر تطورا وازديادا في حركة نشر الكتاب العربي في المطابع الأوروبية ، واكبه اهتمام خاص من طلائع المستشرقين الأولى في الإشراف على نشر هذه الكتب ، ومحاولة تصحيحها ، ولذا يمكن أن نعبر أن هذه الفترة تمثل التجارب الأولى لتعاطي المستشرقين للأسلوب الحديث في تصحيح النصوص التراثية العربية ، ثم تكاملت ونضجت هذه التجارب في وقت لاحق .

ففي بداية هذا القرن شرع المستشرق الهولندي إربنيوس (1584 . 1624 م) بنشر مجموعة من الأمثال

العربية تتألف من 200 مثل . مجهولة المؤلف . ، مع ترجمة لاتينية ، وظهرت هذه النشرة في عام 1615 م ، تحت العنوان العربي التالي :

---

(26) ن . م . 551 . 552 .

---

(206)

(كتاب الأمثال) ، وعنوان لاتيني ترجمته :

(كتاب الأمثال : أو مائتان من الأمثال العربية ، جمعها مؤلف عربي مجهول وشرحها ، مع ترجمة لاتينية وتعليقات قام بها اسكاليجر وتوماس إربنيوس) ، وأعيد طبع هذا الكتاب ، طبعة ثانية أصح من الأولى . كما ورد في العنوان . في عام 1623 م (27) .

وفي عام 1617 م نشر إربنيوس سورة يوسف ، مطبوعة بالشكل الكامل ، في ليدن (هولندة) ، بعنوان عربي ، هو : (سورة يوسف وتهجي العرب) ، وعنوان لاتيني ترجمته : (سورة يوسف وتهجي العرب : تاريخ يوسف النبي ، مأخوذة من القرآن بالأصل العربي ، مع ثلاث ترجمات لاتينية وتعليقات ، بقلم توماس إربنيوس ، وفي أوله الحروف العربية ، ليدن ، مطبعة إربنيوس للغات الشرقية ، 1617 م) (28) .

كما نشر إربنيوس في نفس العام 1617 م ، النص العربي لكتاب (الآجرومية) لابن آجروم المغربي ، وكتاب (المائة عامل) للجرجاني مضبوطة بالشكل ، مع ترجمة لاتينية وشروح ، وعنوان هذه النشرة بالعربية : (كتاب الجرمية ومأية العامل) .

وكان قد نشر قبل ذلك في روما النص العربي لكتاب (الآجرومية) دون ضبط بالشكل ، أما إربنيوس فقد استعان بأربع مخطوطات عربية لتحقيق نص كتاب (الآجرومية) ، وترجمه إلى اللاتينية ترجمة صحيحة جيدة ، وأعان على فهم النص بما زوده به من تعليقات وشروح (29) .

وفي عام 1622 م نشر الإيطالي جوا دانيولي (الخزرجية) (30) ، كما قام

---

(27) ن . م : 16 . 17 .

(28) ن . م : 18 .

(29) ن . م : 19 .

(30) العقيقي ، نجيب . المستشرقون . القاهرة : دار المعارف ، طبعة رابعة موسعة ، 3 / 400 .

---

(207)

إربنيوس بتحقيق الجزء الثاني من (تاريخ العالم) تأليف المؤرخ المصري جورجيوس ابن العميد المعروف بـ (المكين) المتوفى سنة 672 هـ / 1273 م ، ويشمل تاريخ الحوادث من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عام 568 هـ ، وبعد تحقيق النص قام بترجمته إلى اللاتينية ، لكنه توفي قبل نشره ، فعهده بنشره إلى تلميذه ياكوبوس (يعقوب) جوليوس ، فقام بمهمة الإشراف على الطبع ، وظهرت النشرة مع الترجمة اللاتينية في ليدن سنة 1625 م ، بعد وفاة إربنيوس بعام ، وعنوانها :

(6/3)

(تاريخ المسلمين : من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية ، تأليف الشيخ المكين جرجي بن العميد أبو إلياس بن أبي المكارم بن أبي الطيب) (31) .

وفي عام 1629 م نشر المستشرق الهولندي جوليوس (1596 . 1667 م) كتاب (شذرات الأدب من كلام العرب) ، وهو يشتمل على نصوص مختارة ومضبوطة بالشكل الكامل ، منها 165 قولا منسوبا إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقصيدة (لامية العجم) للطغرائي ، ثم خطبة غير مشكولة لابن سينا ، وختمه بأبيات قليلة غير مشكولة (32) .

وفي عام 1631 م نشر المستشرق الإيطالي أوبتشيني ، كتاب (الآجرومية) في روما ، وزوده بترجمة لاتينية وتعليقات مستفيضة وكان الكتاب (الآجرومية) قد نشر ثلاث مرات في أوروبا قبل هذه النشرة (33) .

كذلك نشر جوليوس في سنة 1636 م كتاب (عجائب المقدور) لابن عربشاه ، تحت عنوان : (كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور ، تأليف أحمد

---

(31) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق : 19 . 20 .

(32) ن . م : 204 . 205 .

(33) ن . م : 55 .

---

(208)

ابن عربشاه) (38) .

ونشر إبراهيم الماروني الحقلاني في سنة 1641 م ، مقتطفات من كتاب (مقاصد حكمة فلاسفة العرب) للقاضي مير حسين الميبودي ، تحت عنوان : (مختصر مقاصد حكمة فلاسفة العرب) ، نشرها في نصها العربي ، وزودها بالشكل الملئ بالأغلاط (35) .

وفي سنة 1642 م نشر المستشرق الإنجليزي بوكوك الأب بمعاونة سلدن كتاب (نظم الجوهر) لابن البطريق ، المتن العربي مع ترجمة لاتينية (36) .

وفي سنة 1650 م نشر المستشرق الإنجليزي جريفز كتاب (جغرافية أبي الفداء) ، المتن العربي وترجمة لاتينية ، و (الزيج السلطاني) لأولغ بك و (علم الفلك) (37) .

(7/3)

وفي العام نفسه 1650 م نشر بوكوك الأب (المختار من تاريخ العرب) وهو مجتزأ من تاريخ أبي الفرج ابن العبري ، المتن العربي وترجمة لاتينية ، وكان أول نص عربي طبع في أكسفورد (38) .

وكان إبراهيم الماروني الحقلاني قد نشر في سنة 1651 م ، النص العربي لـ (تاريخ العالم) للمؤرخ المصري ابن الراهب ، وهو تاريخ يصل إلى عام 1259 م (39) .

كما نشر بوكوك الأب (أقوال علي) في سنة 1661 م ، و (لامية العجم) للطغرائي وترجمها إلى اللاتينية ، مع تعليقات شافية في نفس العام السابق (40) .

---

(34) ن . م : 205 .

(35) ن . م : 227 .

(36) العقيقي ، نجيب . مصدر سابق ، 3 / 402 .

(37) ن . م : 3 / 402 .

(38) ن . م : 3 / 402 .

(39) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق : 228 .

(40) العقيقي ، نجيب . مصدر سابق 3 / 402 .

---

(209)

وعمل جوليوس لمدة طويلة على إعداد نشرة للنص العربي لكتاب (الفصول الثلاثين) ، ويعرف أيضا باسم : (جوامع علم النجوم والحركات السماوية) ، وباسم : (أصول علم النجوم) ، وباسم : (المدخل إلى علم هيئة الأفلاك) ، للفرغاني ، فنشره جوليوس بعنوان عربي هو :

(كتاب محمد بن كثير الفرغاني في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم ، بتفسير الشيخ الفاضل يعقوب غوليوس) ، وصدر الكتاب في أمستردام في سنة 1669 م ، بعد وفاة جوليوس بعامين ، وزوده بترجمة لاتينية وشروح مستفيضة (41) .

ونشر بوكوك الابن رسالة (حي بن يقظان) لابن الطفيل ، المتن وترجمة لاتينية ، في أكسفورد عام 1671 م (42) .

تحقيق التراث في القرن الثامن عشر

تواصلت عملية تحقيق ونشر التراث العربي الإسلامي في أوروبا في هذا القرن ، بنمو يتفوق قليلا على ما شهدته هذه العملية في القرن السابق .

(8/3)

فقد نشر المستشرق الإنجليزي هايد كتاب (الإفادة والاعتبار) لعبد اللطيف البغدادي ، في سنة 1702 م ، المتن العربي مع ترجمة لاتينية (43) ، فيما نشر المستشرق الهولندي ريلاندوس كتاب (تعليم المتعلم) للزرنوجي ، في سنة 1707 م (44) .

كما نشر الإنجليزي سيمون أوكلي رسالة (حي بن يقظان) لابن الطفيل

---

(41) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق : 205 .

(42) ن . م : 140 . 141 .

(43) العقيقي ، نجيب . مصدر سابق 3 / 02 .

(44) ن . م : 3 / 397 .

---

(210)

بعنوان : (تطور العقل الإنساني في حي بن يقظان) ، متنا وترجمة إنجليزية ، في سنة 1708 م .
كذلك نشر الإنجليزي جانيه ، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من (المختصر في أخبار البشر) ، لأبي الفداء ، متنا وترجمة لاتينية ، في سنة 1722 م ، ثم نشر (المختصر) بكامله ، متنا وترجمة فرنسية ، في سنة 1723 م (45) .
وفي عام 1731 م نشر الهولندي البرت سخولتنس (مقامات الحريري) ، و (سيرة صلاح الدين) لابن شداد (46) .
كما أن الألماني رايسكه قام بنشر المقامة 26 من مقامات الحريري ، متنا وترجمة ألمانية ، في سنة 1737 م (47) .
ونشر جانيه ذكر ديار مصر من (تقويم البلدان) لأبي الفداء ، في سنة 1740 م (48) .
وفي عم 1742 م ، نشر رايسكه (معلقة طرفة بن العبد) مع مقارنتها بديوان الهذليين ، وحماستي البحتري وأبي تمام ، وشعر المتنبي ، وأبي العلاء .
وفي سنة 1745 م ، نشر الجزء الأول من (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ، متنا وترجمة .
وفي سنة 1755 م ، نشر كتاب (نزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين) لمرعي بن يوسف ، وبضع (رسائل) لأبي فراس ، وابن زيدون (49) .

---

(45) ن . م : 3 / 402 .
(46) ن . م 3 / 379 .
(47) ن . م 3 / 410 .
(48) ن . م 3 / 402 .
(49) ن . م 3 / 410 .

وكان الهولندي كويبرس قد نشر (ديوان الإمام علي عليه السلام) بشروح لاتينية ، في سنة 1745 م .
(50) .

وفي 1765 م نشر رايسكه (رسائل) الوليدي ، و (منتخبات من أشعار المتنبي) .
وفي سنة 1773 م نشر الهولندي هنري ألبرت (مختارات من أمثال الميداني) في لندن ، وكان بوكوك قد أعدها للطبع (51) .
وفي سنة 1774 م نشر كويبرس (غرر الحكم ودرر الكلم) (52) .
وفي سنة 1776 م نشر الألماني ميخائيليس ، ذكر ديار مصر من (تقويم البلدان) لأبي الفداء (53) .
وفي سنة 1783 م نشر الإنجليزي السير وليم جونز (بغية الباحث في جمل الموارث) لابن الملقن ، متنا وترجمة .
ونشر أيضا في سنة 1783 م (المعلقات السبع) ، متنا وترجمة (54) .
وفي سنة 1786 م هنري ألبرت كتاب (كليلة ودمنة) (55). ,لاق.&بلاسحك&بلاسحك&بلاسحك
وفي سنة 1787 م نشر الإيطالي الأب مارتيني (تاريخ فخر الدين بن معز) للخالدي الصغير (56) .
وفي الفترة ما بين 1789 . 1794 م نشر الدانماركي أدلر (تاريخ أبي الفداء) ، في خمسة مجلدات ، عن المخطوطات والأوراق التي تركها

---

(50) ن . م : 3 / 397 .
(51) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق : 24 .
(52) العقيقي ، نجيب . مصدر سابق 3 / 397 .
(53) ن . م : 3 / 410 .
(54) ن . م : 3 / 402 .
(55) بدوي ، د . عبد الرحمن . مصدر سابق : 24 .
(56) العقيقي ، نجيب . مصدر سابق 3 / 400 .

المستشرق الألماني رايسكه عند موته (57) .
وفي سنة 1792 م نشر وليم جونز (السراجية في علم الفرائض والمواريث الإسلامية) لسراج الدين السجاوندي .
وفي العام نفسه نشر كارليل جزء من (مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة) لابن تغري بردي ، متنا وترجمة لاتينية (58) .

وفي سنة 1793 م نشر الإيطالي فيلا كتاب (ديوان مصر) ، متنا وترجمة إيطالية ، في جزءين ، ولم يتم الثاني (59) .

(10/3)

ونشر النمساوي دي دومباي (أنيس المطرب في أخبار المغرب) لابن أبي زرع الفاسي في سنة 1797 م ، متنا وترجمة ألمانية .

كما نشر مواطنه دينك (الالمام بمعرفة ملوك الحبشة في الإسلام) ، في سنة 1798 م .

وفي سنة 1799 م نشر الإسباني كونده جزء من (نزهة المشتاق) للإدريسي ، متنا وترجمة إسبانية (60) .

تحقيق التراث في أوروبا في القرن التاسع عشر

شهد القرن التاسع عشر توسعا كبيرا في حركة تحقيق ونشر التراث العربي الإسلامي في أوروبا ، وقد تزامن ذلك مع تعاظم نشاط الاستعمار وهيمنته على بلدان العالم الإسلامي ، وانتهابه لثرواتها ، ومحاولاته الحثيثة لتحطيم هويتها الإسلامية ، واستئصال ثقافتها ، والقضاء على لغاتها ، كما حصل في الجزائر

---

(57) ن . م : 3 / 418 .

(58) ن . م : 3 / 402 . 403 .

(59) ن . م : 3 / 400 .

(60) ن . م : 3 / 419 . 420 .

(11/3)

---

16 . المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقري الرازي ، فقيه الأصحاب بالري ، قرأ عليه قاطبة المتعلمين من السادة والعلماء .

17 . القاضي ركن الدين عبد الجبار بن علي بن عبد الجبار الطوسي ، نزيل كاشان .

18 . القاضي الإمام السعيد زين الدين أبو علي عبد الجبار بن محمد ابن الحسن الطوسي . المتوفى في شوال سنة 529 هـ من تلامذة الشيخ الطوسي ، وكان قاضيا بكاشان ، وللسيد أبي رضا قصيدة في رثائه مثبتة في ديوانه ، ص 43 .

19 . جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محّمد ابن الأُخوّة الشيباني البغدادي اللؤلؤي العطّار ، نزيل أصفهان (483 . 548 هـ) وللسيّد أبي الرضا قصيدة في رثائه مثبتة في ديوانه ، ص 189.

20 . أبو المحاسن الروياني عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الطبري (415 . 501 هـ) .

21 . أبو المظفر عبد الواحد بن حمد بن محمد بن شيدة السكري الأصفهاني .

22 . علي بن أبي طالب السيلقي الحسني .

23 . علي بن الحسين بن محمد .

24 . الشيخ ركن الدين أبو الحسين علي بن علي بن عبد الصمد بن محمد التميمي النيسابوري السبزواري ، أجاز له ولولديه سنة 529 هـ .

25 . أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار .

26 . أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، المفسر ، مؤلف : مجمع البيان ، المتوفى سنة 548 هـ .

27 . شيخ السادة أبو الحارث المجتبى بن الداعي بن القاسم الحسني الرازي .

---

(166)

28 . أبو الفتح ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد النطنزي الكاشاني ، مؤلف كتاب : الخصائص العلوية على سائر البرية (480 . 550 هـ) .

29 . أبو البركات المشهدي ، ناصح الدين محمد بن إسماعيل الحسيني (457 . 451 هـ) .

30 . قطب الدين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن المقرئ النيشابوري .

31 . أبو الحسن (أبو جعفر) محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي النيسابوري .

32 . أبو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي .

---

33 . أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي النيسابوري (441 . 530 هـ) .

34 . أبو الفتح محمد بن محمد ابن الجعفرية الحائري .

35 . السيد صفي الدين ، مقدم السادة ، أبو تراب المرتضى بن الداعي ابن القاسم الحسني الرازي ، مؤلف : تبصرة العوام ، وغيره .

36 . أمين الدين أبو القاسم مرزبان بن الحسين بن محمد ، ابن كميح .

37 . مكي بن أحمد المخلطي .

38 . هبة الله بن دعويدار القمي .

39 . أبو السعادات ابن الشجري ، هبة الله بن علي الحسني البغدادي (450 . 542 هـ) .

40 . أبو جعفر ابن حسين بن محمد ، ابن كميح ، أخو أبي القاسم المتقدم .

41 . أبو الحسين النحوي .

* * *

---

(167)

تلامذته والراوون عنه :

1 . ابنه السيد كمال الدين أبو المحاسن أحمد .

2 . القاضي سديد الدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن علي الدوريستي ، نزيل كاشان .

3 . أفضل الدين الحسن بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخومجاني . قرأ عليه أمالي المرتضى فأجاز له روايته في رجب سنة 568 هـ ، في مخطوطة الإسكوريال الموجودة صورتها في مقدمة أمالي المرتضى طبعة أبو الفضل إبراهيم .

4 . أبو علي الحسن بن طارق بن الحسن بن عوف الحلبي ، التاجر الشاعر ، الأديب ، المعروف بابن الوحش . بغية الطلب في تاريخ حلب 5 / 2405 .

5 . نصير (ناصر) الدين أبو إبراهيم راشد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد البحراني ، المتوفى سنة 605 هـ .

6 . أبو حفص زيد بن علي بن محمد بن قشام الحلبي . بغية الطلب 2406 .

7 . وجيه الدين فخر العلماء أبو علي عبد الجبار بن الحسين بن أبي القاسم . قرأ عليه (خصائص الأئمة) للشريف الرضي ، فأجاز له روايته في ذي القعدة سنة 555 هـ ، كما في مخطوطه رامبور .

8 . أبو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي ، صاحب (الأنساب) المتوفى سنة 563 هـ .

9 . نجم الدين عبد الله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر الدوريستي ، ترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات 17 / 102 .

---

10 . نصير الدين أبو طالب عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن حمزة بن الحسن بن علي الشارحي الطوسي .

11 . أبو نصر علي بن أبي سعد بن الحسن بن أبي سعد الطبيب .

12 . عماد الدين أبو الفرج علي بن قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي .

13 . القاضي جمال الدين عليّ بن عبد الجبّار بن محمد الطوسي.

14 . السيد تاج الدين أبو تراب علي بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن أحمد بن حمزة الجعفري الزينبي القزويني .

والجعفريون أسرة شيعية علمية في قزوين من ذرية جعفر الطيار عليه السلام ، ذكرهم الرافعي في (التدوين) وترجم الشيخ منتجب الدين في (الفهرست) لتاج الدين هذا ولأبيه ، ولجده ولجد أبيه ولجد جده ، وقال عنه : قرأ سنين على السيد الإمام ضياء الدين . . .

15 . السيد عز الدين أبو الفضائل علي بن فضل الله الراوندي . ابن السيد أبي الرضا .

16 . زين الدين أبو جعفر محمد بن أبي نصر بن محمد بن علي القمي . وصفه أستاذه الراوندي في خطبة شرح الحماسة بقوله : فتاي وربيبي وسيدي وحبيبي . . .

17 . وجيه الدين محمد بن الحسن الطوسي ، والد المحقق نصير الدين الطوسي ، وابن أخت نصير الدين عبد الله بن حمزة الطوسي الشارحي ، المتقدم برقم 9 .

18 . السيد ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عز الدين أبي عبد الله الحسين بن المنتهى ابن الحسين الحسيني المرعشي ، أجاز له على أمالي المرتضى كما في خاتمة المستدرك .

19 . ناصر الدين محمد بن الحسين الحمداني .

---

20 . القاضي فخر الدين محمد بن خالد الحنفي الأبهري .

21 . رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني ، المتوفى سنة 588 هـ .

22 . برهان الدين محمد بن محمد بن حمدان الحمداني القزويني ، نزيل الري .

23 . قوام الدين محمد بن محمد البحراني .

24 . تاج الدين محمد بن محمد الشعيري .

المدرسة المجدية :

وبنى . رحمه الله . في كاشان مدرسة ع ظيمة ، ضخمة فخمة ، بذل نفقاتها ، وأنفق على طلابها وساكنيها الوجيه الخير مجد الدين أبو القاسم عبيد الله بن الفضل بن محمد ، فسميت المدرسة المجدية باسمه ، وقال معاصروه عبد الجليل الرازي في كتاب النقض ، ص 198 ، في حديثه عن كاشان ومدارسها العامرة وبهجتها ، كالمدرسة المجدية والصفوية والشرفية والعزيزية ، قال ما معربه : كيف ومدرسها السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني ، عديم النظير في البلاد في علمه وزهده وغيره من الأئمة والقضاة وكثرة الفقهاء والمقرئين .

وقال السيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة . ص : 506 . : له مدرسة عظيمة بكاشان ليس لها نظير على وجه الأرض ، يسكنها من العلماء والفضلاء والزهاد والحجاج خلق كثير ، وفيها يقول ارتجالا [على المنبر] :

ومدرسة أرضها كالسماء كواكبها عز أصحابها وصاحبها الشمس ما بينهم فلو أن بلقيس مرت بها ... تجلت علينا بآفاقها وأبراجها عز أطباقها تضئ الظلام بإشراقها لاهوت لتكشف عن ساقها

---

(170)

وظنته صرح سليمان إذ ... يمرد بالجن حذاقها (15)

ونقل الراوندي إليها دروسه ومجالس وعظه وتذكيره ، فكان يؤمها الطلبة وغيرهم من كل وجه ، فكانت عامرة صورة ومعنى بوجوده وإفاداته ودروسه ومواعظه .

قال العماد في (الخريدة) . وكان في صغره فترة في كاشان هو وأخوه . : وأقمنا سنة نتردد إلى المدرسة المجدية إلى المكتب ، وكنت أرى هذا السيد . أعني أبا الرضا . وهو يعظ في المدرسة ، والناس يقصدونه ، ويردون إليه ، ويستفيدون منه . . .

مؤلفاته :

قال المحدث النوري في ترجمة الراوندي في خاتمة المستدرك 3 / 324 : وله تصانيف تشهد بفضله وأدبه ، وجمعه بين موروث المجد ومكتسبه . . . .

فأولها :

شرح نهج البلاغة

تقدم أنه . رحمه الله . وقف في بغداد على نسخة الأصل من (نهج البلاغة) بخط مؤلف الشريف الرضي ، فنسخ عليها نسخة لنفسه ، وفرغ منها في ربيع الأول سنة 511 هـ ، ثم بدأ يقرأه ويقرأ عليه ويقابل ويروي ويجيز ويعلق التعاليق ويشرح الكلمات والجمل ويفسر غريبه ويوضح مشكله ، دائبا على ذلك أكثر من نصف قرن ، حتى أصبحت التعاليق شرحا من شروح نهج البلاغة ، وعدت من شروحه ، وربما كان أولها وأقدمها .

قال بعض (16) تلامذة العلامة المجلسي في كتابه إليه : (وشرحا النهج

---

(15) ديوان الراوندي : 198 .

(16) هو ملا ذو الفقار الأصفهاني ، وكتابه هذا الذي أرسله إلى العلامة المجلسي . رحمه الله .

للراونديين . . .) والراوندي الثاني ، هو القطب الراوندي له : (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) يأتي برقم 4 .

وذكره شيخنا . رحمه الله . في شروح النهج ، فقال في الذريعة 14 / 143 : شرح النهج للسيد الإمام ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي . . .

ونسخ عليه منذ عهد المؤلف عدة نسخ وبقي حتى القرن الثامن ، حين اعتمده ابن العتايقي في شرحه على نهج البلاغة .

وظفر به أحمد بن أبي طالب بلكو . من تلامذة العلامة الحلي . فنسخ عليه نسخة لنفسه سنة 723 هـ ، وكتب محمد صادق بن محمد شفيع اليزدي على نسخة ابن بلكو نسخة لنفسه في سنة 1132 هـ ، وهذه النسخة هي الآن في مكتبة السيد المرعشي العامة في قم ، رقم 273 .

2 . نسخة كتبت سنة 1059 هـ ، في مكتبة المتحف العراقي ، من كتب الدكتور محفوظ .

وإليك سائر مؤلفاته :

1 . الكافي في التفسير ، رواه العلامة الحلي في إجازته لبني زهرة عن والده عن السيد صفي الدين [ابن] معد (17) عن المؤلف ، مما يبدو أنه كان موجودا في القرن الثامن .

2 . الأربعين في الأحاديث ، وسماه السيد ابن طاوس : سنة الأربعين .

3 . الموجز الكافي في العروض والقوافي .

أدرجه المجلسي في آخر كتابه (بحار الأنوار) فطبع فيه في ج 110 / 168 .

(17) رواية ابن معد . المولود سنة 573 . عن السيد فضل الله الراوندي تعد مرسلة قد سقط الواسطة بينهما .

(18) وفي مكتبة الوزيري العامة في مدينة يزد رسالة في العروض لملك العلماء والفضلاء . .

---

4 . نظم العروض للقلب المروض .

5 . ترجمة العلوي للطب الرضوي ، هو ترجمة فارسية للرسالة الذهبية في التعليمات الطبية المروية عن الإمام الرضا عليه السلام ، والنص العربي مطبوع غير مرة ، والترجمة لم نعثر عليها .

6 . مقاربة الطية إلى مقارنة النية .

7 . رمل يبرين .

ذكره العماد الكاتب في (خريدة القصر) في ترجمة المؤلف وأنه رآه بخطه عند ابنه السيد كمال الدين أحمد في أصفهان ، قال : يشتمل على مجلدات كثيرة ، وفوائد غزيرة ، جمعها بخطه . . .

8 . المدائح المجدية .

هو مجموعة شعرية في عدة مجلدات ، وهي ما قيل في مدح مجد الدين (19) أبي القاسم عبيد الله بن الفضل بن محمود الكاشاني . المتوفى

أفضل الدين فضل الله الكاشاني رقم 1200 ذكرت في فهرسها 3 / 894 وأظنها هي الموجز الكافي هذا .

كثيرا من المدن ، وزوج بنات كثيرة ربما بلغت الألفين ، وجهزها من ماله ، وبيته من وجوه بيوت الشيعة ، فيهم النعمة والثروة والتقدم والوجاهة ، وقصده الشعراء الفرس والعرب ومدحوه بقصائدهم ، منهم : الأرجاني وأبو المظفر الأبيوردي ، وللسيد أبي الرضا فيه مدائح كثيرة وقصائد عدة مثبتة في (المدائح المجدية) وبعضها في ديوانه المطبوع ، ونقل فيه . ص 111 . بعض قصائده من المجلد الخامس من (المدائح المجدية) مما يبدو أنه خمس مجلدات أو أكثر ، ولا ندري هل جمع فيه السيد ما قاله هو وحده في مدح مجد الدين ، أو أدرج فيه قصائد لغيره أيضا .

(6/4)

---

(19) وكان من أثرياء عصره ، آتاه الله ثروة طائلة ، وحبب إليه فعل الخيرات ووفقه لها ، فبنى لكاشان سورا يصد عنها هجمات العدو ، وحفر لها نهرا يكفيها ويكفي مزارعها ، بنى للسيد أبي الرضا مدرسة عامرة ضخمة فخمة سميت بالمدرسة المجدية ، وبذل عليها أموالا طائلة ، وأعان الفقراء والسادات والعلماء والطلبة ، وبنى مساجد وقناطر وخانات ، وحفر أنهارا ، وعم أفضاله كثيرا من المدن ، وزوج بنات كثيرة ربما بلغت الأربعين الألفين ، وجهزها من ماله ، وبيته من وجوه بيوت

---

(173)

6 جمادى الآخرة سنة 535 هـ صاحب المدرسة المجدية والمتفق عليها . من قصائد .

9 . كتاب النوادر .

هو كتاب صغير في الحديث ، ذكره شيخنا . رحمه الله . في الذريعة 24 / 337 ووصف له عدة نسخ ، وطبع في النجف الأشرف ، في المطبعة الحيدرية سنة 1370 هـ .

10 . أدعية السر .

وهي 31 دعاء لمختلف الحاجات ، أكثر نسخها تبدأ روايتها بالسيد أبي الرضا فنسبت إليه ، وبعض نسخها رواية شيخه الشيخ أبي علي ابن الشيخ الطوسي بإسناد آخر ، كما ذكره شيخنا في الذريعة 1 / 397 ، وفيه أن الكفعمي أدرجها في كتابه (البلد الأمين) والعلامة المجلسي في (بحار الأنوار) والمحدث الحر في (الجواهر السنية في الأحاديث القدسية) فهي مطبوعة ضمن هذه الكتب ، وقال : في أمل الآمل 2 / 217 : عندنا لها نسخة .

ومن مخطوطاتها نسخة خزائنية في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف ، رقم 1038 ،

وأخرى في مكتبة المرعشي ، رقم 499 ، وثانية فيها في المجموعة رقم 2644 ذكر لها السيد محمد صالح الحسيني أسانيد ثلاثة .
ونسخة مترجمة خلال السطور في مكتبة المسجد الأعظم في قم ، في

الشيعة ، فهيم النعمة والثروة والتقدم والوجاهة ، وقصده الشعراء الفرس والعرب ومدحوه بقصائدهم ، منهم : الأرجاني وأبو المظفر الأبيوردي ، وللسيد أبي الرضا فيه مدائح كثيرة وقصائد عدة مثبتة في (المدائح المجدية) وبعضها في ديوانه المطبوع ، ونقل فيه . ص 111 . بعض قصائده من المجلد الخامس من (المدائح المجدية) مما يبدو أنه خمس مجلدات أو أكثر ولا ندري هل جمع فيه السيد ما قاله هو وحده في مدح مجد الدين ، أو أدرج فيه قصائد لغيره أيضا .
---
(174)
المجموعة رقم 3952 / 4 ، ذكرت في فهرسها ص 648 ، ونسخة في مكتبة المجلس . رقم 2 (مجلس سنا) في المجموعة رقم 603 / 13 ذكرت في فهرسها 1 / 391 .
11 . الحماسة ذات الحواشي .
بهذا العنوان ذكره الشيخ منتجب الدين تلميذ المؤلف في الفهرست ، في ترجمة المؤلف برقم 334 ، وقال : شاهدته وقرأت بعضها عليه) ، وهو شرحه على حماسة أبي تمام ، وكان علق عليها بهوامش نسخته تعليقات وشروح (20) .
منها مخطوطة فريدة من القرن السابع ، في المتحف البريطاني رقم OR 19 ، في 294 ورقة ، ناقصة من أولها ورقة ، صورت عليها في رحلتي الاولى سنة 1404 هـ .
12 . الحاشية على أمالي المرتضى .
ذكرها شيخنا . رحمه الله . في الذريعة 6 / 151 ، وقال : قال في الرياض : له تعليقات كثيرة على الغرر والدرر ، رأيتها بخطه ، وعلى ظهر النسخة أيضا بخطه المتوسط [في الجودة] إجازة للسيد ناصر الدين بن أبي المعالي محمد (21) .
13 . كتاب الدعوات .

منه مخطوطة في مكتبة المجلس ، في طهران منضمة إلى (ضوء

---

(20) قال في ديباجتها : بحواش علقتها على نسخة منه بخطي من شرح أبوي علي المرزوقي والاسترآبادي وأبي الحسن البياري وأبي عبد الله النمري وأبي الفتح ابن جني ، ونسخة الأمير أبي الفضل الميكالي ، ومن مواضع أخر ، وإن لاح فيه لائح كتبت ، غير مستبعد أن يكون الأول قد ترك للآخر شيئا ، فلمحها في يدي فتاي وربيبي وسيدي وحبيبي الشيخ الأديب الأريب أبو جعفر محمد بن أبي نصر بن محمد المكتب القمي . . وقال : أنقل حواشيها لتكون شرحا يحصل منه المقصود . . .

(21) رياض العلماء 4 / 371 .

---

(175)

الشهاب) ، رقم 1240 ، كتبت سنة 1319 هـ .

وطبع في قم من منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، سنة 1407 هـ .

14 . ضوء الشهاب .

هو شرح (شهاب الأخبار) للقاضي القضاعي . المتوفى سنة 454 هـ . ذكره الشيخ منتجب الدين في الفهرست ، وذكره المحدث النوري في خاتمة المستدرك . ص 324 . وقال في كلامه عن الراوندي : وهو صاحب (ضوء الشهاب) الذي أكثر النقل عنه في البحار ، ويظهر منه كثرة تبحره في اللغة والأدب ، وعلو مقامه في فهم معاني الأخبار ، وطول باعه في استخراج مآخذها .

وذكره شيخنا . رحمه الله . في الذريعة 15 . 120 ، قال إن منه نسخة في مكتبة حالت أفندي بإسلامبول .

وحكى عن العلامة المجلسي قوله : إنه كتاب شريف مشتمل على فوائد جمة خلت منها كتب الخاصة والعامة .

أقول : ومنه مخطوطة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول ، رقم 593 . وأخرى ناقصة في مكتبة ملك العامة في طهران ، رقم 5696 ، في 230 ورقة ، كتبت في القرن الثالث عشر عن مخطوطة كتبت سنة 560 ، ذكرت في فهرسها 1 / 488 .

ونسخة رابعة في مكتبة المجلس ، رقم 1240 ، كتبت سنة 1319 هـ ، ذكرت في فهرسها 4 / 43 ،

وعنها مصورة في المكتبة المركزية لجامعة طهران ، رقم الفلم 2273 ، ذكرت في فهرس مصوراتها 1 / 351 .

ديوانه :

(9/4)

يبدو أن شعره مجموع في حياته ، فكثير من قصائده أدرجها في كتابه (المدائح المجدية) وقد تحدثنا عنه .

وله ديوان آخر عمله هو بنفسه ، رآه العماد الكاتب الأصفهاني في

(10/4)

قبلصلة

تشييد المراجعات

وتفنيد المكابرات

(1)

السيد علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين .

وبعد :

فهذه بحوث وضعتها تشييدا للمراجعات ، بتوضيح أو تعليق أو تذييل ، وتفنيدا لما يكون حولها من مكابرات ، عن تعصب أو جهل أو تضليل ، والله أسأل أن ينفع بها كما نفع بأصلها ، وأن يجعلها وسيلة لهداية من كان أهلا لها ، إنه سميع مجيب .

* * *

---

(129)

تمهيد :

لا ريب في أن البحث وتبادل الآراء خير طريق لتبيين الواقع ، وكشف الحقيقة ، وتنوير الفكر ، ونشر العقيدة . . . وقد كان السنة الجارية لدى الأنبياء والأولياء وسائر المصلحين والعقلاء . . . وله أصول وقواعد وآداب ، كانوا ولا يزالون يلتزمون بها ويمشون عليها في كافة مجالات المناظرة والجدل .

وإن من أولى تلك القواعد والأصول . بعد رعاية الأدب واجتناب الهوى والتعصب . هو التكلم على ضوء الأدلة المقبولة عند الطرفين ، واستدلال كل منهما بما ورد عند الطرف المقابل وما جاء عن طريقه وكان مقبولا لديه . . . لأن هذا أقوى حجة على الخصم ، وأمتن استدلالا في العقل السليم والمنطق الصحيح .

ولقد دأب علماؤنا الأعلام منذ قديم الأيام على اتباع هذا الأسلوب في مؤلفاتهم ومناظراتهم ، كما لا يخفى على الباحث الخبير ، وكان ذلك من أهم عوامل تقدم المذهب الحق وإقبال الأمم عليه ، كما كان من أهم أسباب عجز الآخرين عن الجواب والرد ، فما كان منهم إلا التسليم والإذعان ، أو الكذب والشتم والبهتان .

(1/5)

لينظر المنصف إلى استدلالات مشايخ الطائفة وأساطين المذهب ، كالشيخ المفيد البغدادي ، والسيد المرتضى الموسوي ، والشيخ الطوسي ، والعلامة الحلي . . . ونظرائهم . . . ليجد صدق النية ، ونزاهة البحث ، ومتانة الاحتجاج القائم على الأسس القويمة من الكتاب العزيز ، والسنة الثابتة ، والعقل السليم . . .

وكانت هذه طريقة السيد شرف الدين في آثاره الخالدة . . .

* * *

---

(130)

شخصية السيد شرف الدين :

وهو . كما هو معروف . علم من أعلام الأمة ، ومن كبار المجتهدين الأفذاذ ، كما تشهد بذلك آثاره في الفقه والأصول وغيرهما .

وبطل من أبطال العلم ، المرجوع إليهم في المسائل المختلفة في شتى العلوم الإسلامية . . . من الفقه

والأصول والتفسير والحديث والكلام . . .

وزعم من زعماء الاصلاح في المجتع الإسلامي ، كما تشهد بذلك مشاريعه الثقافية ومؤسساته الاجتماعية ، من مدارس وجوامع . . .

وقائد من قواد النضال والكفاح ضد الاستعمار الأجنبي ، حتى أنه شرد عن وطنه بأهله وذويه ، ثم تفرقوا في البلدان ، ونزل هو دمشق ففلسطين فمصر ، وصودر ثقله ، وأحرقت مكتبته ، في قضايا مفصلة سجلها له التاريخ .

وأما آثاره فكثيرة . . . لها المكانة المرموقة بين آثار علمائنا الأعلام في العصر الحاضر ، جمعت الدقة في البيان إلى المتانة في الأسلوب والاستيعاب الشامل ، فما تطرق إلى مسألة إلا وأشبعها بحثا وتحقيقا ، وما تعرض لمشكلة إلا وعالجها العلاج الناجع التام .

وتتجلى عظمته وإحاطته في مؤلفاته في المسائل الخلافية ، وفي تحقيقاته التاريخية والرجالية ، وفي ما كتبه في الدفاع عن الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام .

وقد وقوبل هذا المحقق العظيم بما قوبل به أسلافه ، فأكثر المسلمين يقدرون جهوده ، ويقرأون كتبه ، ويشكرون أياديه ، ويثمنون مساعيه ، حتى طبعت كتبه عشرات المرات ، وترجمت إلى شتى اللغات . . . وأقبلت عليها الجماهير من جميع الجهات . ومن الناس من لا يتحمل رواج تلك الكتب غير القابلة للرد ، وتأثيرها في القلوب المستعدة للهداية والرشاد ، فحاولوا إطفاء ذلك النور بالسب والشتم والكذب والزور . . .

أشهر مؤلفاته :

ومن أشهر كتبه القيمة الجامعة بين الموضوعية والدقة ، والأناقة والرقة ، والعمق والرفعة :

كتاب أبو هريرة : وهو كتاب فريد في بابه ، تناول أبا هريرة الدوسي وأحاديثه الكثيرة المروية في كتابي البخاري ومسلم وغيرهما من أسفار أهل السنة ، بالبحث والتحقيق الموضوعي . وقد أثار بعض كتاب القوم ضجة شديدة حوله ، لأنه في الحقيقة ينسف أهم أسسهم في الأصول والفروع ، أعني الأمرين المشهورين للذين لا أصل لهما . وكم من مشهور لا أصل له . وهما : مسألة عدالة الصحابة أجمعين ، ومسألة صحة

أحاديث كتابي البخاري ومسلم ، الموسومين بالصحيحين .

وكتاب النص والاجتهاد : وهو كتاب فقهي ، أصولي ، حديثي ، كلامي ، تاريخي . . . جمع فيه موارد كثيرة من مفارقات ومعارضات جماعة من الصحابة . الذين يقتدي بهم أهل السنة في الأصول والفروع . للكتاب والسنة الثابتة ، معتمدا على أوثق كتب القوم وأهم مصادرهم .

وكتاب الفصول المهمة في تأليف الأمة : وهو كتاب جليل من أحسن الكتب الكلامية ، استعرض فيه بعض المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة ، موضحا أن السنة هم الذين خالفوا في معتقداتهم ما تقتضيه الأدلة ويقرره الكتاب والسنة ، وأنه إذا ما رجعوا إلى الله والرسول ، ونبذوا أتباع غير من أمروا بأتباعه ، عادت الأمة إلى الوئام واتفقت كلمة أهل الإسلام .

(3/5)

وكتاب المراجعات : فقد كانت للسيد . رحمه الله . في سنة **1329** هـ رحلة علمية إلى مصر ، اجتمع خلالها برجالات العلم ، وأصحاب الفضيلة في تلك الديار ، وعقدت بينه وبين شيخ الأزهر يومذاك الشيخ سليم البشري المالكي اجتماعات متوالية ، تداولا فيها جوانب الحديث في أمهات المسائل

(**132**)

الدينية ، وكان من نتاجها (المراجعات) وطبعت سنة **1355** هـ .

كلام السيد في مقدمة المراجعات :

ويقول السيد في مقدمة هذا الكتاب :

(هذه صحف لم تكتب اليوم ، وفكر لم تولد حديثا ، وإنما هي صحف انتظمت منذ زمن يربو على ربع قرن ، وكادت يومئذ أن تبرز بروزها اليوم ، لكن الحوادث والكوارث كانت حواجز قوية عرقلت خطاها . . . أما فكرة الكتاب فقد سبقت مراجعاته سبقا بعيدا ، إذ كانت تلتمع في صدري منذ شرخ الشباب ، التماع البرق في طيات السحاب ، وتغلي في دمي غليان الغيرة ، تتطلع إلى سبيل سوي يوقف المسلمين على حد يقطع دابر الشغب بينهم . . .

ضقت ذرعا بهذا ، وامتلأت بحمله هما ، فهبطت مصر أواخر سنة **1329** مؤملا في (نيله) نيل الأمنية التي أنشدها ، وكنت ألهمت أني موفق لبعض ما أريد . . .

وهناك . على نعمى الحال ، ورخاء البال ، وابتهاج النفس . جمعني الحظ السعيد بعلم من أعلامها البارزين ،

بعقل واسع ، وخلق وادع ، وفؤاد حي ، وعلم عيلم ، ومنزل رفيع ، يتبوأه بزعامته الدينية ، بحق وأهلية . . . فكان مما اتفقنا عليه . . . أن أعظم وقع بين الأمة : اختلافهم في الإمامة . . . ولو أن كلا من الطائفتين نظرت في بينات الأخرى . نظر المتفاهم لا نظر الساخط المخاصم . لحصحص الحق وظهر الصبح لذي عينين .

(4/5)

وقد فرضنا على أنفسنا أن نعالج هذا المسألة ، بالنظر في أدلة الطائفتين ، فنفهمها فهما صحيحا ، من حيث لا نحس إحساسنا المجلوب من المحيط والعادة والتقليد ، بل نتعرى من كل ما يحوطنا من العواطف والعصبيات ، ونقصد الحقيقة من طريقها المجمع على صحته ، فنلمسها لمسا ، فلعل ذلك يلفت

أذهان المسلمين ، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم بما يتحرر ويتقرر عندنا من الحق ، فيكون حدا ينتهي إليه إن شاء الله تعالى .

لذلك قررنا أن يتقدم هو بالسؤال خطا عما يريد ، فأقدم له الجواب بخطي ، على الشروط الصحيحة ، مؤيدا بالعقل أو بالنقل الصحيح عند الفريقين .

وجرت بتوفيق الله عز وجل على هذا مراجعاتنا كلها ، وكنا أردنا يومئذ طبعها لنتمتع بنتيجة عملنا الخالص لوجه الله عز وجل ، لكن الأيام الجائرة ، والأقدار الغالبة اجتاحت العزم على ذلك ، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي .

وأنا لا أدعي أن هذه الصحف تقتصر على النصوص التي تألفت يومئذ بيننا ، ولا أن شيئا من ألفاظ هذه المراجعات خطه غير قلمي ، فإن الحوادث التي أخرت طبعها فرقت وضعها أيضا كما قلنا .

غير أن المحاكمات في المسائل التي جرت بيننا موجودة بين هاتين الدفتين بحذافيرها ، مع زيادات اقتضتها الحال ، ودعا إليها النصح والإرشاد ، وربما جر إليها السياق على نحو لا يخل بما كان بيننا من الاتفاق) .

أقول :

والنقاط الأساسية في هذه المقدمة هي :

1 . إن هذه المراجعات وقعت بين السيد والشيخ ، وأنهما قررا أن يتقدم الشيخ بالسؤال خطا عما يريد ،

فيقدم له السيد الجواب بخطه ، على الشروط الصحيحة المقررة بينهما .

2 . إن هذه المراجعات كانت معدة للطبع يومذاك ، وكادت أن تبرز بروزها اليوم ، لكن الحوادث والكوارث هي التي حجزت عن ذلك .

3 . إن الحوادث التي أخرت طبع هذه المراجعات فرقت وضعها أيضا ، فألفاظها كلها بقلم السيد ، حاكية للمحاكمات التي جرت بينه وبين الشيخ

بحذافيرها .

وذكر قدس سره سفره إلى مصر بترجمته لنفسه حين شرح أسفاره :

(في مصر :

. . . كنت أحب . فيما أحب . أن أزور مصر وأقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم ، ولأبلو ما يبلغني عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل . وظلت هذه الأمنية كامنة في نفسي حتى حفزها خالي المرحوم السيد محمد حسين في أواخر سنة 1329 ، حين زارنا في عاملة . . .

وقد بدأت هذه الجولة بالحضور في دورة الشيخ سليم البشري المالكي . شيخ الأزهر يومذاك . وكان يشرف على طلابه من منبره وهو منطلق في درسه انطلاقا يلحظ فيه توفره وضلاعته فيما هو فيه . وكان يلقي درسا في مسند الإمام الشافعي . . . حضرت درسه لأول مرة . . . وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب المناقشة فناقشته ، ثم علمت بعدئذ أن المناقشة وقت المحاضرة ليست من الدراسة الأزهرية ، فكنت بعدها أفضي إليه بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديرة بالبحث والمذاكرة .

وقد كانت مناقشتي الأولى . في كل حال . سببا في اتصال المودة بيني وبينه ، وسبيلا إلى الاحترام المتبادل ، ثم طالت الاجتماعات بيننا ، وتشاجنت الأحاديث وتشعب البحث بما سجلناه في كتابنا : المراجعات . ولو لم يكن من آثار هذه الزيارة إلا هذا الكتاب لكانت جديرة بأن تكون خالدة الأثر في حياتي على الأقل .

ولعل الكتاب يصور بعض الأجواء العلمية التي تفيأناها يومئذ مطلقين في آفاقها ، منطلقين من القيود الكثيرة التي كانت توثق الأفكار آنذاك برجعيات يضيق صدرها حتى بالمناقشة البريئة والتفكير الصحيح .

ومهما يكن من أمر ، فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ ، واتصلنا بغيره من أعلام مصر المبرزين ، إذ زارونا وزرناهم ، أخص منهم العلامتين :

---

(135)

الشيخ محمد السملوطي والشيخ محمد بخيت . وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمة . .

.

(6/5)

وعلى كل حال ، فقد غادرت مصر وأنا أحن إليها ، وأتزيد من اللبث فيها ، ولم أغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثة . البشري بخيت والسملوطي . بإجازات مفصلة عامة عن مشايخهم أجمع ، بطرقهم كلها المتصلة بجميع أرباب الكتب والمصنفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، في جميع العلوم ، عقلية ونقلية ، ولا سيما الصحاح الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومستدرك الحاكم ، وسائر المسانيد ، وكتب تفسير والكلام والفقه ، وبقية العلوم الإسلامية مطلقا .

وممن نعمنا بخدمته في مصر ، وتبادلنا معه الزيارات ، وكانت بيننا وبينه محاضرات ومناظرات ، في مسائل فقهية وأصولية وكلامية ، دلت على غزارة فضله ورسوخ قدمه في العلم والفضيلة : شيخنا الشيخ محمد عبد الحي ابن الشيخ عبد الكريم الكتاني الإدريسي الفاسي . وقد أجازني أيضا إجازة عامة وسعت طرقي في الرواية والحديث .

واطردت المراسلة بعد العودة إلى البلاد بيني وبين شيخنا البشري زمنا ، ثم طغت عليها الشواغل وكوارث الحرب العامة الأولى (1) .

وكان رجوعنا من مصر في جمادى الأولى سنة 1330) (2) .

وقال شارحا قصة (المراجعات) حين ذكر مؤلفاته :

(كتاب المراجعات ، أو : المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية . مجلد واحد ، يثبت رأي الإمامية في الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألفناه في مصر ، إذ أتيناها سنة 1329 ، فجمعنا الحظ السعيد

---

(1) أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة 1332 هـ ، أي بعد رجوعه بسنتين فقط .

(2) بغية الراغبين 2 / 199 .

---

(136)

(7/5)

بإمامها الوحيد : الشيخ سليم البشري المالكي ، شيخ الجامع الأزهر في ذلك العهد ، حضرت درسه ، وأخذت عنه علما جما ، وكان عيلم علم ، وعلم حلم ، وكنت أختلف إلى منزله أخلو به في البحث عما لا يسعنا البحث عنه إلا في الخلوات ، وكان جل بحثنا هذا في الإمامة ، التي ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل عليها ، وقد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر في البحث عن أدلتها ، متجردين من كل عاطفة سوى انتجاع الحقيقة والوصول إلى من طريقها المجمع على صحته .

وعلى هذا جرت مناظراتنا ومراجعاتنا ، وكانت خطية تبادلنا بها المراسلة إبراما ونقضا ، فجئته بالحجج الساطعة لا تترك خليجة ولا تدع وليجة ، فقابلها بالذود عن حياضها ، لا يألو في ذلك جهدا ولا يدخر وسعا . لكن الله عز وجل بهدايته وتوفيقه يسر لي . وله الحمد . درء كل شبهة ودحض كل إشكال ، حتى ظهر الصبح لذي عينين . . .

وكنت أردت يومئذ طبع تلك المراجعات ، وهي 112 مراجعة ، لكن الأقدار الغالبة أرجأت ذلك ، فلما نكبنا في حوادث سنة 1338 . كما سنفصله في محله . انتهبت مع سائر مؤلفاتي يوم صيح نهبا في دورنا . وما أن فرج الله تعالى عنا . بفضله وكرمه . حتى استأنفت مضامينها بجميع مباحثاتها التي دارت بيننا ، فإذا هي بحذافيرها مدونة بين دفتي الكتاب ، مع زيادات لا تخل بما كان بيننا من المحاكمات ، على ما أوضحناه في مقدمة الكتاب ، والحمد لله . باعث من في القبور . على بعث هذا السفر النافع ونشره) (3) .

---

(3) بغية الراغبين في سلسة آل شرف الدين 2 / 98 . في ذكر مؤلفاته .

---

(137)

إهداء السيد كتاب المراجعات :

ثم إن السيد . رحمه الله . يهدي كتابه قائلا :

(8/5)

(وإني لأهدي كتابي هذا إلى أولي الألباب ، من كل علامة محقق ، وبحاثة مدقق ، لابس الحياة العلمية فمحص حقائقها ، ومن كل حافظ محدث جهبذ حجة في السنن والآثار ، وكل فيلسوف متضلع في علم الكلام ، وكل شاب حي مثقف حر قد تحلل من القيود وتملص من الأغلال ، ممن نؤملهم للحياة الجديدة والحرة .

فإن تقبله كل هؤلاء واستشعروا منه فائدة في أنفسهم ، فإني على خير وسعادة) .

رجاء السيد من القراء :

وذكر السيد كتاب (المراجعات) في المورد الأول من كتاب (النص والاجتهاد) فقال :

(ومن أراد التفصيل فعليه بكتابنا (المراجعات) إذ استقصينا البحث ثمة عن تلك النصوص ، وعن كل ما هو حولها مما يقوله الفريقان في هذا الموضوع ، تبادلنا ذلك مع شيخنا شيخ الإسلام ، ومربي العلماء الأعلام ، الشيخ سليم البشري المالكي ، شيخ الجامع الأزهر يومئذ ، رحمه الله تعالى ، أيام كنا في خدمته ، وكان إذ ذاك شيخ الأزهر ، فعني بي عنايته بحملة العلم عنه ، وجرت بيننا وبينه حول الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصوصها مناظرات ومراجعات خطية ، بذلنا الوسع فيها إيغالا في البحث والتمحيص ، وإمعانا فيما يوجبه الإنصاف والاعتراف بالحق ، فكانت تلك المراجعات . بيمن نقيبة الشيخ . سفرا من أنفع أسفار الحق ، يتجلى فيها الهدى بأجلى مظاهره ، والحمد لله على التوفيق .

وها هي تلك منتشرة في طول البلاد وعرضها ، تدعو إلى المناظرة بصدر شرحه الله للبحث ، وقلب واع لما يقوله الفريقان ، ورأي جميع ، ولب رصين ، فلا تفوتنكم أيها الباحثون .

نعم ، لي رجاء أنيطه بكم فلا تخيبوه ، أمعنوا في أهداف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومراميه في أقواله وأفعاله ، التي هي محل البحث بيننا وبين الجمهور ، ولا تغلبنكم العاطفة على أفهامكم وعقولكم ، كالذين عاملوها معاملة المجمل أو المتشابه من القول ، لا يأبهون بشيء من صحتها ، ولا من صراحتها ، والله تعالى يقول : (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) (فأين تذهبون) أيها المسلمون (إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى)) (4) .

أقول :

لقد حقق أبناء الأمة الإسلامية رجاء السيد رحمه الله ، وتقبله الذين أهدى إليهم المراجعات بقبول حسن ، وأقبلوا عليها خير إقبال ، واستضاء بنورها الكثير منهم ، ورجعوا ببركتها إلى الأصل الديني المفروض عليهم .

وها هي . ولا تزال . منتشرة في طول البلاد وعرضها ، تدعو إلى المناظرة بصدر رحب شرحه الله للبحث ، كل طالب للحق ، باحث عن الحقيقة ، يريد الخير والصلاح والفلاح لنفسه وللأمة .

لكن (السنة) التي رسمها ابن تيمية في (منهاجه) لها أتباع في كل زمان ، تعلموا منه منطق السب والشتم والبهتان . وإن خالفوها في بعض الجهات ، وفي بعض الأحيان . (5) ولم نجد في كلامهم . هنا . كلمة تستحق الاصغاء والذكر ،

---

(4) النص والاجتهاد . الطبعة الثانية . : 54 .

(5) أعتقد أنه لو كان ابن تيمية في هذا العصر ، وانبرى للجواب عن (المراجعات) لأنكر قبل كل شيء سفر السيد إلى مصر ! والتقائه بالشيخ هناك ! بل أنكر وجود السيد والشيخ في هذا العالم !

إلا كلمة واحدة ، وهي : ما هي الحوادث والكوارث التي حالت دون نشر المراجعات في حياة الشيخ ؟ لماذا لم يذكر السيد منها ولو واحدة ؟ وهذا سؤال وجيه ، ولكن ليتهم طرحوه بأدب ووقار . . .

قال قائل منهم :

يقول قائلهم مفتتحا ما كتبه بعد البسملة والحمدلة :

(وبعد ، يعتبر كتاب المراجعات من أهم كتب الرافضة التي عرض فيها مؤلفه : عبد الحسين الموسوي ، مذهبه مذهب الرفض ، بصورة توهم الكثير من أهل السنة بصدق ما جاء فيها ، لا سيما أولئك الذين لم يسبق لهم معرفة عقيدة الرافضة وأصولهم ، وأساليبهم الخبيثة الماكرة ، والتي ترتكز على الأدلة الكاذبة الموضوعة ، والتلاعب بالأدلة الصحيحة ، سواء بالزيادة فيها أو الانقاص منها ، أو بتحميلها من المعاني ما لا تحتمله ، كل هذا يفعلون نصرة لمذهبهم ، وتأييدا لباطلهم . وهذا ما درج عليه الموسوي في كتابه (

المراجعات) .

ولما كانت هذه المراجعات لا أصل لها من الصحة ، بل هي محض كذب وافتراء ، ولما مر على ظهور هذا الكتاب قرابة الثلاثين عاما (6) ، ولم نجد أحدا من علماء السنة قد رد على هذه المراجعات المكذوبة جملة وتفصيلا .

ولما كان هذا الكتاب قد أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم ، جهلا منهم بعقيدة الرافضة وأصولهم المخالفة لأصول الإسلام الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة ، وظنا منهم بصدق هذه المراجعات ، غير مدركين تدليس وكذب صاحبها ، حيث أظهر موافقة شيخ الأزهر على كل ما عرضه من أدلة مكذوبة ، وفي الوقت نفسه لم يجدوا من يكشف لهم كذب هذه المراجعات ، ويبين لهم

ووجود مصر على وجه الأرض !

(6) المراجعات طبعت عام 1355 هـ ، فقد مر على ظهورها حتى تاريخ ما كتبه هذا الرجل . وهو سنة 1406 هـ . قرابة الخمسين عاما .

ما اشتملت عليه من زيغ وضلال .

ولما كان تحذير المسلمين من عدوهم ، وفضح كل الطوائف والفرق الخارجة على الإسلام أمرا واجبا على كل داعية ، بل هو من أعظم القربات إلى الله حتى يميزوا الخبيث من الطيب ، ويبينوا سبيل المجرمين .

لهذا كله نرى أنفسنا مضطرين لرد على كتاب المراجعات ، سائلين الله أن يجعل هذا خالصا لوجهه ، ودفاعا عن أوليائه ، ونصرة لدينه ، وغيرة على سنة نبيه).

أقول :

أولا : إننا عندما ننقل هذه المراجعات نرجو المعذرة من كل مسلم غيور متأدب بآداب الإسلام ، بل من كل إنسان متخلق بالأخلاق الفاضلة ، وخاصة من سيدنا (شرف الدين) قدس الله نفسه ، فإننا إنما أوردناها :

1 . ليتضح أن الذين يعادون الشيعة ، والتشيع إنما يعادون المسلمين والإسلام ، ولا يفرقون في الطعن بين أهل السنة وبين الشيعة ، وذلك لأن هذا الأسلوب من الكلام يشوه سمعة الدين والإسلام ، لدى أبناء

الأديان الأخرى ، إذ يتوقعون أن هذا هو الخلق الإسلامي المحمدي ، وأن المسلمين . سواء الشيعة أو السنة . بمعزل عن الآداب الإنسانية والأخلاق الفاضلة .

على أنه . في نفس الوقت الذي يتهجم فيه على الشيعة . يطعن في علماء مذهبه ، وينسبهم إلى التهاون في أمر الدين والدفاع عن أولياء الله وسنة الرسول ، إذ لم يردوا على هذا الكتاب الذي أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم . على حد تعبيره . ولم يكشفوا لهم كذب هذه المراجعات ! كما قال . . .

فهؤلاء . في الواقع . أناس يريدون الوقيعة بين المسلمين ، وإيجاد التباغض بينهم ، وضرب بعضهم ببعض ، حتى يكون الأعداء في راحة . . . فكونوا على حذر من هؤلاء ، وانتبهوا أيها المسلمون ! !

---

(141)

2 . للاستشهاد على ما ذكرنا ممن قبل ، من أن في الناس من لا يروقه قول الحق وبيان الحقيقة ، وحين لا يمكنه الرد المتين المستند إلى العقل والدين ، يتفوه بهذه الكلمات ، اقتداء بشيخ إسلامه ابن تيمية المشحون منهاجه بالأباطيل والافتراءات .

3 . للعلم بأن فيمن ينسب نفسه إلى السنة المحمدية ، ويزعم كونه (داعية) إليها (مدافعا) عنها (غيورا) عليها . . . أناسا غير منصفين بأدنى شيء من آدابها ، وليقارن بين كتابات هؤلاء وبين كتابات الشيعة .

4 . للتنبيه على أن من يفتتح ما كتبه بالتكفير والشتم والتضليل وغير ذلك لطائفة من المسلمين . . . لا يستبعد منه الكذب والخيانة والتدليس في أثناء ما كتبه وخلال البحوث .

(12/5)

---

5 . ولأنا سوف نعرض عن التعرض بشيء لأمثال هذه العبارات . وما أكثرها . في الكتاب .

وثانيا : إن السيد من كبار فقهاء الأمة الإسلامية ، ومن أعاظم علماء الطائفة الشيعية ، وكتابه (المراجعات) من المصادر المعتبرة لدى المسلمين حتى أن بعض علماء السنة المحققين ينقلون عنه ويعتمدون عليه ، قال العلامة الشيخ محمود أبو رية . من كبار علماء الأزهر المشاهير المحققين . في كلام له حول بعض الروايات : (وإذا أردت الوقوف على هذه الروايات فأرجع إلى كتاب المراجعات التي جرت بين العلامة شرف الدين الموسوي . رحمه الله . وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر سابق) (7) .

وقد وصف الأستاذ عمر رضا كحالة السيد ومؤلفه بقوله :

(عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي . عالم فقيه مجتهد . ولد بالمشهد الكاظمي مستهل جمادى

الآخرة ، وأخذ عن طائفة من علماء العراق ،

---

(7) أضواء على السنة المحمدية ، 404 .

قبلصلة

مصطلحات نحوية

(1)

السيد علي حسن مطر

أولا : مصطلح اللفظ

1 . اللفظ لغة :

اللفظ في اللغة يعني الطرح والرمي والنبذ مطلقا ، أي سواء أكان الطرح من الفم أم غيره ، وسواء أكان المطروح من الفم صوتا أم غيره .

قال ابن فارس : (اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء ، وغالب ذلك أن يكون من الفم ، تقول : لفظ بالكلام يلفظ لفظا ، ولفظت الشيء من فمي) (1) .

وقال ابن منظور : (اللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك . . . والبحر يلفظ الشيء : يرمي به إلى الساحل . . . ولفظت بالكلام وتلفظت به ، أي : تكلمت به . . . وهو في الأصل مصدر) (2) ، استعمل بعد ذلك (بمعنى الملفوظ به . . . كما استعمل القول بمعنى المقول ، وهذا كما يقال : الدينار ضرب الأمير ، أي : مضروبه) (3) ، ولا بد من ملاحظة أن استعماله بهذا المعنى خاص بما

---

(1) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مادة (لفظ) .

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (لفظ) .

(3) شرح الرضي على الكافية ، الرضي الاسترآبادي ، تحقيق يوسف حسن عمر 1 / 20 .

يطرحه الفم من الأصوات ، (وسمي ذلك لفظا ، لأنه هواء مرمي من داخل الرئة إلى خارجها ، فهو مصدر أريد به المفعول ، كالخلق بمعنى المخلوق) (4) .

فاللفظ بهذا المعنى (يطلق على كل حرف ، من حروف المعجم كان أو من حروف المعاني ، وعلى أكثر منه ، مفيدا كان أو لا) (5) .

2 . اللفظ اصطلاحا :

استعمل النحاة (اللفظ) اصطلاحا ، بمعناه اللغوي الأخير ، أي بمعنى اسم المفعول ، وأرادوا به خصوص ما كان أصواتا بلفظها الفم (6) .

وأول ما وجدته من تعاريف اللفظ . في حدود ما توفر لدي من المصادر . ما نسبه ابن يعيش (ت 643 هـ) إلى سيبويه من أن اللفظ (جماعة حروف ملفوظ بها) (7) .

ويؤخذ عليه أن اللفظ قد يكون حرفا واحدا كفاء العطف ولام التملك . ويلي تعريف الرماني (ت 384 هـ) : (اللفظ كلام يخرج من الفم) (8) ، ويريد بذلك الكلام بمعناه اللغوي لا الاصطلاحي ، وإلا ورد عليه أن اللفظ في الاصطلاح أعم من الكلام ، إذ يشمله ويشمل الكلمة والكلم والقول .

وعرفه ابن هشام (ت 761 هـ) بتعريفين :

أولهما : (الصوت المشتمل على بعض الحروف ، سواء دل على معنى

---

(4) أ . حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 1 / 14 .

ب . حاشية الصبان على شرح الأشموني 1 / 21 .

(5) شرح الرضي على الكافية 1 / 20 .

(6) شرح الأزهرية في علم العربية ، خالد الأزهري ، ص 11 .

(7) شرح المفصل ، ابن يعيش 1 / 19 .

(8) الحدود في النحو ، الرماني ، ضمن كتاب (رسائل في النحو واللغة) تحقيق مصطفى جواد ويوسف مسكوني ، ص 42 .

كزيد ، أم لم يدل كديز مقلوب زيد) (9) .

وثانيهما : (الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا) (10) ولم يذكرها هنا دلالة الصوت على معنى وعدم دلالته ، ولعله استغنى عن ذلك بإطلاق عبارته الشامل لكل منهما .

والأقرب أنه يريد أن قولنا (قم) مثلا ، يشتمل تحقيقا على حرفين ، وتقديرا على حروف (أنت) ، وليس مراده أن الضمير المستتر هو صوت مشتمل على بعض الحروف تقديرا .

وعرفه السيوطي (ت 911 هـ) بأنه : (الصوت المعتمد على مقطع) (11) أي : على مخرج في الفم ، واكتفى أيضا بإطلاق العبارة في الدلالة على الشمول لما كان مستعملا أو مهملا من الألفاظ ، ولما كان مكونا من حرف واحد أو أكثر .

وعرفه الخضري بأنه (صوت معتمد على مخرج من مخارج الفم ، محقق كاللسان أو مقدر كالجوف) وفضله على تعريف ابن هشام والأشموني ، إذ قال : (وهذا التعريف للفظ أولى من قولهم : صوت مشتمل على بعض الحروف ، لأنه يرد على ما هو حرف واحد كواو العطف ، إذ الشيء لا يشتمل على نفسه) (12) .

ويبدو أن هذه الإشكال غير وارد ، إذ ليس هناك اثنينية بين الصوت وبين الحرف أو الحروف ، لكي يكون الصوت وعاء للحرف ، بل هما في الواقع شيء

---

(9) شرح قطر الندى ، ابن هشام ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ص 11 .

(10) أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك ، ابن هشام ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد 1 / 11 .

(11) أ . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم 1 / 39 .

ب . البهجة المرضية ، السيوطي ، تحقيق مصطفى الحسيني ، ص 7 .

(12) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 1 / 14 .

واحد ، ومعنى اشتمال الصوت على بعض الحروف هو تكونه منها ، ولا شك في أن (بعض الحروف)

يصدق على الحرف الواحد ، كصدقه على ما زاد عليه .

* * *

---

(267)

ثانيا : مصطلح القول

1 . القول لغة :

المستفاد من كلمات اللغويين والنحاة أن القول يستعمل لغة في المعاني التالية :

أولا : كل لفظ نطق به اللسان تاما كان أو ناقصا (13) ، أي ما كان مستعملا من الألفاظ المفردة والمركبة سواء حسن السكوت عليه أم لا ، (فالتام هو المفيد ، أعني الجملة وما كان في معناها من نحو صه وأيه ، والنقص ما كان بضد ذلك نحو زيد . . . وكان أخوك) (14) إذا أريد بها كان الناقصة .

ثانيا : إحداث اللفظ المستعمل وإيجاده ، قال ابن هشام : (فأما القول فهو في الأصل مصدر (قال) إذا نطق بلفظ مستعمل ، فمسماه الحقيقي نفس إيجاد اللفظ المستعمل) (15) .

ثالثا : (كل حرف ، من حروف المعجم كان ، أو من حروف المعاني ، وعلى أكثر منه ، مفيدا كان أو لا) (16) .

رابعا : الرأي والاعتقاد ، وإطلاق القول عليه مجاز ، (لأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول . . . كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له (17) .

---

(13) أ . لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (قول) .

ب . الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار 1 / 17 .

---

(14) الخصائص ، ابن جني 1 / 17 .

(15) شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية ، ابن هشام ، تحقيق هادي نهر 1 / 203 .

(16) شرح الرضي على الكافية ، تحقيق يوسف حسن عمر 1 / 20 .

(17) أ . الخصائص ، ابن جني 1 / 19 . ب . لسان العرب ، مادة (قول) .

---

(268)

2 . القول اصطلاحا :

وأما النحاة فقد استعملوا (القول) في خصوص معناه الأول ، وأقدم من وجدته يستعمله بمعناه الاصطلاحي . في حدود ما لدي من المصادر . هو ابن معطي (ت 628 هـ) (18) .

وقد عرفوا (القول) بما ينطبق على المعنى المذكور ، فقال ابن هشام (ت 761 هـ) : هو (اللفظ المستعمل) (19) أو (اللفظ الدال على معنى) (20) . وتابعه عليه من جاء بعده وقالوا في شرحه : إن المراد من (اللفظ) هو الأعم من المفرد والمركب ، والمراد من (الدال على معنى) هو ما يصح السكوت عليه وما لا يصح (21) .

ثم عمدوا إلى بيان النسبة بين القول ، وبين كل من الكلمة والكلام والكلم بمعانيها الاصطلاحية ، وأنها نسبة العموم ، قال ابن معطي : (والقول يعم الجميع) (22) ، وقال ابن مالك (ت 672 هـ) في أرجوزته الألفية : (والقول عم) .

وقال بعض شراحها : أي أن (القول) يطلق على كل من الكلمة والكلام والكلم (23) .

---

(18) الفصول الخمسون ، ابن معطي ، تحقيق محمود الطناحي ، ص 149 .

(19) شرح اللمحة البدرية ، ابن هشام 1 / 203 .

(20) أ . أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك 1 / 12 .

ب . شرح شذور الذهب ، ص 11 .

ج . شرح قطر الندى ، ص 11 ، وكلها لابن هشام ، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(21) شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري 1 / 27 .

(22) الفصول الخمسون ، ص 149 .

(23) شرح ابن عقيل على الألفية ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد 1 / 16 .

---

(269)

وقام آخرون ببيان نوع هذا العموم ، وأنه عموم مطلق وليس عموما من وجه ، أي أنه يصدق على هذه الثلاثة ، ويصدق على غيرها أيضا ، (فهو أعم من الكلام ، لانطلاقه على المفيد وغيره ، وأعم من الكلم ، لانطلاقه على المركب من كلمتين فأكثر ، ومن الكلمة ، لانطلاقه على المفرد والمركب ، عموما مطلقا ، لصدقه على الكلام والكلم والكلمة ، وانفراده في مثل : غلام زيد ، فإنه ليس كلاما ، لعدم الفائدة ، ولا كلما ، لعدم الثلاثة ، ولا كلمة ، لأنه ثنتان ، لا عموما من وجه دون وجه ، إذ لا يوجد شيء من الكلام والكلم والكلمة بدون القول) (24) .

للبحث صلة . . .

---

(24) أ . شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري 1 / 28 .

ب . حاشية الصبان على شرح الأشموني 1 / 26 . 27 .

حينما سعى المستعمر الفرنسي إلى استبدال اللغة العربية بالفرنسية ، بل القضاء على الأبجدية التي تكتب بها لغاب الشعوب الإسلامية ، كما جرى في تركيا ، عندما أقصيت الأبجدية التركية العثمانية ، واستبدلت باللاتينية .

لقد سخر المستعمر لتنفيذ هذه المهام أفواجا عديدة من الباحثين في أوروبا ، ووجههم للتخصص بالتراث الإسلامي ، وأمن لهم إمكانات مادية وبشرية ضخمة ، من أجل دراسة هذا التراث ، واكتشاف الشعوب الإسلامية ، لبسط سيطرته عليها ، فأسست مراكز للبحث والتحقيق ، ودور نشر ، ودوريات ، وكليات ، ومؤسسات متنوعة ، تخصصت بتراثنا ، ومجتمعاتنا ، وتاريخنا ، وعاداتنا ، كانت تؤمن خدمات هائلة لوزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية (61) ، حتى أن تزايد الاهتمام بالتراث الإسلامي ، وتحقيقه ونشره ، وفهرسته ، وترجمته ، كان يتناسب طرديا بشكل ملحوظ ، مع تفاقم ظاهرة الاستعمار في ديارنا ، فيما كان يتراجع هذا الاهتمام في حالات انكفاء الاستعمار وتراجعه وانحساره .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرف السبب في اشتداد حركة تحقيق ونشر تراثنا في أوروبا في القرن التاسع عشر ، وهو عصر غلبة أوروبا ، وبسط نفوذها على معظم ديارنا عسكريا ، وتغلبها على مجتمعاتنا بأسرها سياسيا .

ومن هنا يمكن القول بأن تحقيق ونشر التراث الإسلامي في أوروبا ، كان يمثل في بعد من أبعاده الأساسية ،

إحدى الآليات التي يعتمدها الاستعمار في سيطرته على المسلمين ، وتدمير المقومات الحيوية والفطرية لمجتمعاتهم ، فكلما توسعت حركة الاستعمار في العالم الإسلامي ، تنامت بموازاتها حركة تحقيق ونشر التراث الإسلامي في أوروبا .

وإن كنا لا نعدم ظهور بعض النماذج من الباحثين الغربيين في تراثنا ،

---

(61) عمل بعض أساطين حركة الاستشراق كمستشارين في وزارة المستعمرات في بلدانهم .

ممن أنار الله بصيرتهم ، فهداهم للتي هي أقوم ، وكانوا استثناء من هذه الحالة ، مثل المرحوم عبد الكريم جرمانوس ، والمرحوم محمد أسد ، . . . وغيرهم .

فيما يلي تقص لأبرز الكتب العربية التي حققت ونشرت في الغرب ، في القرن التاسع عشر ، حاولنا ترتيبها حسب تاريخ النشر ، مع ذكر الباحث الذي اضطلع بنشرها .

وقد اعتمدنا على المراجع التالية في التعرف على هذه الكتب :

1 . اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، لإدوارد فنديك ، صححه : السيد محمد علي البلاوي وزاد فيه : قم : مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، 1409 هـ (أوفسيت) .

2 . معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس . مطبعة سركيس بمصر ، 1346 هـ . 1928 م ، 2 ج .

3 . رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادة ، لمحمد ماهر حمادة . بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2 ق .

4 . المتشرقون ، لنجيب العقيقي . القاهرة : دار المعارف ، طبعة رابعة موسعة ، 3 ج

5 . موسوعة المستشرقين ، لعبد الرحمن بدوي . بيروت : دار العلم للملايين ، ط . 3 ، 1993 م ، طبعة جديدة منقحة ومزيدة .

* * *

أبرز الكتب العربية المحققة والمشورة

في أوروبا في القرن التاسع عشر

مخطوطات باريس) .

6 . معلقة الحارث بن حلزة ، بشرح الزوزني .

نشرها : الألماني فولرز ، 1827 م (بحسب مخطوطات باريس ، مع قصيدتين لأبي العلاء بحسب مخطوط بطرسبرج ، مع ترجمة لاتينية وشرح) .

7 . معلقة طرفة (ابن العبد) ، بشرح الزوزني .

نشرها : فولرز ، 1827 م (بحسب مخطوطات باريس ، مع ترجمة لاتينية ، وترجمة لحياة الشاعر ، مع إضافات مختارات من تعليقات ريسكه) .

8 . مختارات عربية .

منشورة عن مخطوطات باريس وجوتا وبرلين ، مع معجم وتعليقات . نشرها : كوزجارتن ، 1828 م . ... 1 . الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار .

تأليف : موفق الدين عبد اللطيف البغدادي .

نشره : الفرنسي دي ساسي ، 1810 م (مع ترجمة فرنسية وتعليقات مستفيضة) .

2 . مقامات الحريري .

نشرها : دي ساسي ، 1812 م (زودها بشرح بالعربية) .

3 . كليلة ودمنة .

نشره : دي ساسي ، 1816 م .

4 . رحلة محمد ابن بطوطة (الرحالة العربي الطنجي) .

نشرها : الألماني كوزجارتن ، 1818 م .

5 . معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، بشرح الزوزني .

نشرها : كوزجارتن ، 1819 م (بحسب

---

19 . السلوك لمعرفة دول الملوك .
للمقريزي .
نشره : الفرنسي كاترمير ، 1837 . 1845 م ، القسم الثاني في مجلدين (مع ترجمة بالفرنسية ، وتعليقات) .
20 . كتاب الأغاني الكبير .
للأصفهاني .
نشره : كوزجارتن ، 1840 م ، الجزء الأول (مع ترجمة لاتينية وتعليقات) .
21 . تاريخ سلاطين خوارزم .
لميرخوند .
نشره : الفرنسي دفرمري ، 1842 م .
22 . الملل والنحل .
للشهرستاني .
نشره : الإنجليزي كيورتن ، 1842 . 1846 م ، 2 ج .
23 . كتاب تهذيب الأسماء .
لأبي زكريا يحيى النووي .
نشره : فستنفلد ، 1842 . 1847 م ، (وكان فستنفلد قد نشر قسما منه في 1832 م) . ... 24 .
العقائد النسفية .
لمعين الدين النسفي .
نشره : كيورتن ، 1843 م .
25 . روض القرطاس ، أو : أخبار ملوك المغرب .
وهو في تاريخ المغرب خلال خمسة قرون ، من 788 إلى 1325 م .
لابن أبي زرع .
نشره : تورنبرج ، 1843 + 1846 م ، ج 1 وج 2 .
26 . التعريفات .
للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني .

نشره : فلوجل ، 1845 م .

27 . رسالة في تعريف الاصطلاحات الصوفية .

لابن عربي .

نشرها : فلوجل ، 1845 م (ملحقة بكتاب التعريفات السابق) .

28 . المشترك وضعا والمختلف صقعا .

لياقوت الحموي .

---

(218)

نشره : فستنفلد : 1846 م .

29 . شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون .

لابن بدرون .

نشره : الهولندي دوزي ، 1846 . 1848 م .

30 . الحلة السيراء .

لابن الأبار .

نشر فصولا مستخلصة منه : دوزي ، في كتاب : تعليقات على بعض المخطوطات العربية ، 1847 . 1851 م .

31 . تاريخ الموحدين .

لعبد الواحد المراكشي .

نشره : دوزي ، 1847 م .

32 . البيان المغرب .

لابن عذارى .

نشره : دوزي ، م 1847 .

33 . البيان المغرب .

نشره : دوزي ، 1848 . 1851 م ، 2 ج (مع مقدمة وتعليقات ومعجم) .

33 . عجائب المخلوقات ، وآثار البلاد .

كتابان لزكريا بن محمود القزويني .

نشرهما : فستنفلد معا ، لأنه يعتقد أنهما ... يؤلفان كتابا واحدا في ذهب القزويني ، 1848 . 1849 م ، 2 مج .

34 . مقتطفات من الجغرافيين والمؤرخين العرب والفرس .

نشرها : دفرمري ، 1849 م .

35 . المعارف .

لابن قتيبة .

نشره : فستنفلد ، 1850 م .

36 . رسالة محمد بن حبيب عن اتفاق وافتراق أسماء القبائل العربية .

نشرها : فستنفلد ، 1850 م .

37 . مراصد الاطلاع .

وهو مختصر من كتاب : معجم البلدان .

لياقوت الحموي .

نشره : الهولندي يونبول ، 1850 . 1854 م ، 3 مج .

38 . ألفية ابن مالك ، مع شرح ابن عقيل .

نشرها : الألماني ديتريصي ، 1851 م .

* * *

---

1 . كتاب الأعلاق النفيسة ، لأبي علي أحمد بن عمر بن رسته .

2 . كتاب البلدان ، لليعقوبي .

نشر هذا المجلد في سنة 1892 م .

المجلد الثامن : كتاب التنبيه والإشراف ، للمسعودي (مع فهارس ، ومعجم للمجلدين السابع والثامن) .

64 . شرح جمال الدين ابن هشام على قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير .

نشره : الإيطالي جويدي ، 1871 . 1874 م .

65 . درة الغواص في أوهام الخواص .

للحريري ، صاحب المقامات .

نشره : توربكه ، 1871 م .

66 . الفهرست .

لابن النديم .

حققه : فلوجل ، وطبعه بعد وفاته : أوجست ملر ، وبهان ريدجر ، 1971 . 1872 م ، 2 ج .

67 . فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال .

لابن رشد . ... نشره : ملر ، 1875 م (بضمن كتابه : الفلسفة والكلام عند ابن رشد) .

---

68 . كشف مناهج الأدلة عن عقائد الملة .

لابن رشد .

نشره : ملر ، 1875 م (بضمن كتابه : الفلسفة والكلام عند ابن رشد) .

69 . كتاب فيما يلحن فيه العامة .

نشره : الفرنسي هرتفج دارنبور ، 1875 م .

70 . المنقذ من الضلال .

للغزالي .

نشره : باربييه دي مينار ، 1876 م .

71 . كتاب الفصيح .

لثعلب .

نشره : الألماني جاكوب بارت ، 1876 م .

72 . معجم ما استعجم .

للبكري .

نشره : فستنفلد ، 1876 م .

* * *

أصفهان بخطه عند ابنه السيد كمال الدين أبي المحاسن أحمد .

قال في (خريدة القصر) في ترجمة سيدنا الناظم : وبعد عودي إلى أصفهان بسنتين اجتمعت بولده السيد كمال الدين أحمد . . . ووجدت معه ديوانه بخطه . . .

وأثنى عليه السيد على خان المدني ، ابن معصوم ، في (الدرجات الرفيعة) ص 507 ثناء بليغا يأتي نصه بعد أسطر .

والذي يبدو أن له ـ رحمه الله ـ أكثر من ديوان ، وأن ما نظمه في المناسبات المذهبية والأغراض الدينية ، وقصائده في أهل البيت عليهم السلام مدحا ورثاء مجموع في ديوان خاص لم يصلنا ، وهذا الذي وصل إلينا جمع فيه ما نظمه في غيرهم ، ولم يستوعب هذا النوع أيضا ، وربما لم يدرج فيه بعض القصائد كاملة كما هو لائح على الديوان المطبوع .

مخطوطة الديوان :

هناك مخطوطة فريدة للديوان مكتوبة في القرن الثامن ، تحتفظ بها المكتبة الوطنية (كتابخانه ملي) في طهران ، برقم 109 ، ومعه (درر النحور) للصفي الحلي ، ذكرت في فهرسها 7 / 99 .

طبعته :

وعلى هذه المخطوطة الفريدة ، حققه الباحث الفاضل السيد جلال الدين المحدث الأرموي وعلق تعاليق قيمة ، وقدم له مقدمة ضافية ، ونشره في طهران سنة 1374 هـ .

نماذج من نظمه :

كان ـ رحمه الله ـ أديبا متضلعا في الأدب ، بليغا متمكنا من البلاغة ،

---

(177)

شاعر قويا في النظم ، له ديوان مطبوع .

أطراه الأديب الكبير السيد علي خان المدني ابن معصوم ـ وناهيك به ـ في (الدرجات الرفيعة) ص 507 ،

فقال : ولقد وفقت على ديوان هذا السيد الشريف ، فرأيت ما هو أبهى من هرات الربيع ، وثمرات الخريف ، فاخترت منه ما يروق سماعه لأولي الألباب ، ويدخل إلى المحاسن من كل باب ، فمن ذلك قوله :

(1/8)

سفرت لنا في طلعة البدر فأجل قدر الليل مطلعها لو أنها كشفت لآلئها لأضاءت الدنيا لساكنها حتى يظن الناس أنهم وحديثها سحر إذا نطقت وجبينها بدر التمام إذا وشميمها المسك الفتيق وما ... إحدى الخرائد من بني بدر حتى تراءت ليلة القدر من قولها والعقد والثغر والليل في باكورة العمر هجم العشاء بهم على الفجر لو كان طعم الشهد للسحر حاذاك لولا كلفة البدر للمسك فغمة ذلك العطر

ومنها :

يا لائمي كف الملام فقد فوحق فاحمها الأثيث وهل إني إلى معسول ربقتها عهدي بنا والوصل يجمعنا ... غلب الغرام بها على الصبر في ذلكم قسم لذي حجر أظما من الصادي إلى القطر كاللوز توأمتين في قشر إلى آخر القصيدة ، وهي مثبتة في ديوانه : **92** : **94** .

وقد أورده السيد علي خان المدني . رحمه الله . في باب الانسجام من كتابه أنوار الربيع **4** / **159** معجبا بها ، وقال في ص **160** عن البيت الأخير

(**178**)

. كاللوز توأمتين في قشر . : هذا تشبيه ليس له في اللطف شبيه ، وهو معنى بكر ، لم يفتضه قبل فكر . . .

ومن قوله . رحمه الله . من قصيدة على قافية الضاد ، وهي أصعب القوافي :

آه لبرق أومضا كأنه لما بدا أو التواء حية ويا لريح نسمت مريضة لم تستطع فاحتبت على الربى حتى غدت لطيمة يا برق يا ريح معا ما لكما أوقدتما وا أسفا على الصبا عاد برغم معطسي وعاد حقي باطلا لهفي على عهد الصبا جاز عليه الشيب لما أظلمت الدنيا على من الذي أشكو إذا آه على شبيبة لأقصرن خاطري على مراثيها فقد ... هاج غرامي ومضى لمع سيوف تنتضى قتلته فنضنضا من ساكني ذات الاضا من ضعفها أن تنهضا وكل نبت روضا مفضوضة على الفضا تركتماني حرضا على الحشا جمر الغضا أكان دينا يقتضى ذاك الغداف أبيضا وعاد جسمي غرضا أفلت عني وانقضى أن قضى فلا قضى عيني لما أن أضا صار الطبيب ممرضا بنيانها تقوضا إذا شدا أو قرضا أبقت بقلبي مرضا

---

(179)

(2/8)

إلى تمام 34 بيتا مثبتة في ديوان ص 40 . 42 ، وأورد منها السيد علي خان هذه الأبيات في الدرجات الرفيعة : 508 ، وفي أنوار الربيع 4 / 160 .

وله وقد رمدت عينه :

يا ناظري إليكما أما الشؤون فقد وهت أعزز على بأنني ... واستبقيا دمعيكما والشأن في شانيكما بكما بكيت عليكما

وقال ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب 1 / 386 : وأنشد [ني] أبو الرضا الحسني لنفسه :

يا رب مالي شفيع يوم منقلبي المصطفى وهو جدي ثم فاطمة والمجتبى الحسن الميمون غرته ثم ابنه سيد العباد قاطبة والصادق البر في شيء يفوه به ثم الرضا المرتضى في الخلق سيرته ثم النقي ابنه والعسكري وما ثم الذي يملأ الدنيا بأجمعها وتشرق الأرض من لألاء غرته ... إلا الذين إليهم ينتهي نسبي أمي وشيخي علي الخير فهو أبي ثم الحسين أخوه سيد العرب وباقر العلم مكشوف عن الحجب والكاظم الغيظ في مستوقد الغضب ثم التقي نقيا غير ما كذب لي في شفاعة غير القوم من إرب عدلا وقسطا بإذن الله عن كثب كالبدر يطلع من داج من السحب

وله . رحمه الله . شعر أورده ابن شهر آشوب في ص 387 :

ألا يا آل أحمد يا هدايتي أرادكم الحسود بكيد سوء ... لقد كنتم أئمة خير أمه فأصبح ما أراد عليه غمه

---

(180)

يريد ليطفئ النور المصفى ... ويأبى الله إلا أن يتمه (22)

وله أيضا . رحمه الله . :

(3/8)

محمد خير مبعوث وأفضل من من دينه نسخ الأديان أجمعها ثم الإمامة مهداة مرتبة من بعده ابناه وابنا بنت سيدنا والباقر العلم عن أسرار حكمته والكاظم الغيظ لم ينقض مروته ثم التقي متى عاف الأنام معا ثم التقي ابنه والعسكري ومن القائم العدل والحاكي بطلعته تنشق ظلمة ظلم الأرض من قمر ... مشى على الأرض من حاف ومنتعل ودور ملته عفا على الملل من بعده لأمير المؤمنين علي محمد ثم زين العابدين علي والصادق البر لم يكذب ولم يحل ثم الرضا لم يفه والله بالزلل قولا وفعلا فلم يفعل ولم يقل يطهر الأرض من رجس ومن دخل طلوع بدر الدجى في دامس الطفل إشراق دولته يأتي على الدول

ومن أعلام أسرته :

أبوه :

توفي أبوه السيد علي يوم الأربعاء 28 رجب سنة 531 هـ ، فرثاه بقصيدة بائية مثبتة في ديوانه ص 67 ، أولها :

هو الدهر لا عتب عليه ولا عتبى ... فدعه عن العتبى وإياك والعتبا

ومات عمه السيد أبو المحاسن أحمد في يوم الجمعة 13 شوال سنة

---

(22) كذا في أعيان الشيعة ، وفي ديوان الشاعر ، ص 64 :

بني الزهراء إنكم الأئمة ... وفي أيديكم منا الأزمة

البيت الأول ، ولعلها كانت الأبيات أربعة ، وأورد ابن شهر آشوب في كتاب مناقب آل أبي طالب 4 / 334 منها البيتين الأخيرين .

---

(181)

524 هـ ، فرثاه بقصيدة رائية مثبتة في ديوانه ص 21 ، أولها :

أما والرزق تخطر وهي سمر ... وبيض الهند تقطر وهي حمر

أبناؤه :

وكان له ثلاثة أولاد علماء ، فضلاء ، فقهاء ، أدباء ، شعراء ، قضاة ، وهم :

1 . السيد تاج الدين أبو الفضل محمد .

ترجم له معاصره الشيخ منتجب الدين في الفهرست ، برقم 453 ، وقال عنه : فقيه : فاضل .

2 . السيد عز الدين أبو الحسن علي .

ترجم له الشيخ منتجب الدين في الفهرست ، برقم 278 ، وقال : فقيه ، فاضل ، ثقة ، له كتاب (حسيب النسيب للحسيب النسيب) ، كتاب (غنية المتمني ومنية المتهني) ، كتاب (مزن الحزن) ، كتاب (غمام الغموم) ، كتاب (نثر اللآلي لفخر المعالي) ، كتاب (مجمع اللطائف ومنبع الظرائف) ، كتاب (الطراز المذهب في إبراز المذهب) ، تفسير القرآن ، لم يتمه .

أقول : كتابه (الحسيب النسيب) هو ألف بيت في الغزل والنسيب مما نظمه السيد عز الدين أبو القاسم يحيى بن محمد علي بن المطهر ، نقيب الطالبيين بالعراق .

منه نسخة كتبت سنة 656 هـ ، في المجموعة رقم 4047 ، في مكتبة المرعشي في قم ، ذكرت في فهرسها التراث العربي 2 / 403 .

وللمؤلف كتاب (إرشاد المسلمين في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام) وهو شرح (نثر اللآلي) .

منه مخطوطة في مكتبة خدا بخش ، في بتنه بالهند ، رقم 2037 .

ومن مؤلفاته مجموعة شعرية مما نظمه هو ، رآها ابن الفوطي بخطه الرائق من شعره الفائق ، وربما تعد ديوان شعره .

---

(182)

فقد ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب 1 / 255 بلقبه عز الدين ، ووصفه بالكاتب ، وقال : من سلالة السادات النجباء وأولاد النقباء ، رأيت له مجموعة قد كتبها بخطه الرائق من شعره الفائق ، كتب إلى بعض إخوانه :

بأي لسان أم بأي بيان لعمري بقلبي أنتم غير أنكم ... يبين بناني ما يجن جناني جفوتم وقلبي عندكم فجفاني

وترجم له السيد علي خان المدني ، ابن معصوم ، في (الدرجات الرفيعة) عقيب ترجمة أبيه ، ص 511 ، فقال : ابنه السيد الإمام أبو الحسن علي . . . هو شبل ذلك الأسد ، وسالك نهجه الأسد ، والعلم ابن العلم ، ومن يشابه أبه فما ظلم ، كان سيدا عالما ، فاضلا ، فقيها ، ثقة ، أديبا ، شاعرا ، ألف وصنف ، وقرط بفوائده الأسماع وشنف ، ونظم ونثر ، وحمد منه العين والأثر ، فوائده في فنون العلم صنوف ،

وفرائده في آذان الدهر شنوف ، ومن تصانيفه تفسير كلام الله المجيد . . . ومن نظمه المزري بعقود الجواهر . . . فذكر 10 أبيات وقوله أيضا :

ذكرتكم والشهب رزحى من السرى وقد نشرت صدغ الظلام يد الدجى فقلت لندماني قوما فعالجا ... وكف الثريا للغروب تشير فلم يبق من صدغ الظلام ضفير فؤادا يسير الوجد حيث يسير

إلى تمام سبعة أبيات . . .

وقوله أيضا :

سلام عذبات رامة بل رباها أنازحة فراجعة سلمى ... سلاها لا عدمتكما سلاها إليك أم استقر بها نواها

---

(183)

وهي ثمانية أبيات ، وبعدها مقطوعتان كل منهما خمسة أبيات ، ثم قال : وشعره كله على هذا الأسلوب الذي يملك المسامع ويسترق القلوب .

أقول : ومن شعره ما نظمه في إطراء (نهج البلاغة) وقد تقدم في العدد السابق ص 66 ، وفي العدد الخامس ص 21 .

3 . الثالث من أبناء الراوندي ، هو السيد كمال الدين أبو المحاسن أحمد ابن فضل الله الحسني ، كان عالما فاضلا ، أديبا شاعرا ، تولى القضاء بكاشان ، وسكن فترة في أصفهان ، ترجم له معاصره منتجب الدين ابن بابويه في الفهرست برقم 37 ، ووصفه بالعلم والفضل ، وترجم له معاصره الآخر وصديقه وجاره في أصفهان العماد الأصفهاني في (خريدة القصر) (23) في ترجمة أبيه الإمام الراوندي ، فقال : وبعد عودي إلى أصفهان بسنتين اجتمعت بولده السيد كمال الدين أحمد وحصلت بيننا مودة وطيدة ، وصداقة وكيدة ، وأنسة بسبب الفضل الجامع ، ومحاورة لأجل الجوار الواقع . . .

وقال : كان شابا يتوقد ذكاء ، محبوب الشكل ، عزيز المثل ، غزير الفضل ، طالما أنسنا بفوائده ، واقتبسنا من فرائده ، وتجارينا في حلبة الأدب ، وتجاذبنا أعنة الإرب ، وأجلنا قداح الآراء ، وجلونا أقداح الآلاء ، وهو شريف الفطرة ، كريم النشأة ، لطيف العشرة ، متقد الفطنة ، حلو الفكاهة ، خلو من السفاهة ، وهو يتردد في كل سنة إلى أصبهان من قاشان ، مرة أو مرتين ، ويتحفنا من رؤيته وروايته بكل مرة للقلب وقرة للعين ، ومضى شيخنا عبد الرحيم ابن الأخوة في بعض السنين إلى قاشان فكتب إليه أو إلى والده :

قد جئت مرات إلى جينا (24) ... فقاسنا يوما بقاسان

---

(23) في ترجمة أبيه السيد فضل الله الراوندي ، من قسم شعراء إيران ، وهذا القسم لا زال مخطوطا لم ينشر !

(24) جي : اسم قديم لأصفهان .

قبلصلة

حكم الجمع بين الصلاتين

على ضوء المذاهب الفقهية

السيد حسن الحسيني

آل المجدد الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الحكيم المالك ، الذي هدانا إلى أكمل الأديان وأقوم المسالك ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد المبعوث بالشريعة السمحة التي لا يزيغ عنها إلا هالك ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم نجوم الاهتداء وأنوار الحوالك .

أما بعد :

فما زالت طوائف من أهل الخلاف ، وعصائب من ذوي التعصب والاعتساف ، يشنعون على أصحابنا الشيعة الإمامية . أعزهم الله تعالى . تجويز الجمع بين الصلاتين في الحضر من غير علة ويستعظمون ذلك منهم ! مع كونه من الأمور القطعية الثابتة عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم . كما سيتبين لك ذلك إن شاء الله تعالى . .

على أنا . شهد الله ، وكفى به شهيدا . لن نتعبد في هذه المسألة إلا بما ثبت لدينا من أدلة الشرع الشريف من الكتاب والسنة ، بما لا مبرر معه لذلك

التهويل والتشنيع والإرجاف !

فحداني ذلك إلى جمع هذه الرسالة الموسومة بـ : (إعلام أهل الملة بجواز الجمع بين الصلاتين في الحضر من غير علة) ، وقد أودعتها من البراهين الجلية ما تثبت به الحجة على الخصم ، وضمنتها الجواب عن الشبه الواهية التي تشبثوا بها لمنع من الجمع .

ولا بد . أولا . من تحرير محل النزاع فنقول :

إعلم . رحمك الله . أنا معاشر الإمامية مطبقون على استحباب تفريق الصلوات الخمس في الحضر على المواقيت المعهودة ، وإتيان كل منها في وقت فضيلتها ، وكتبهم شاهدة بذلك ، وأحاديثهم في ذا الباب مستفيضة (1) ، وأن الجمع عندهم رخصة لا غير ، إلا في عصري يوم عرفة وعشاءي ليلة المزدلفة ، فإن الجمع عندهم سنة كما عليه سائر أهل الإسلام ، وإلا في عصر الجمعة ، فإن السنة عندهم جمعها مع الأولى لقيام الدليل على ذلك .

وقد خالفت فيه العامة :

فقالت : الحنفية : لا يجوز الجمع مطلقا إلا بعرفة والمزدلفة .

وأجازه الشافعي لعذر المطر ليلا كان أو نهارا .

ومنعه مالك في النهار وأجازه في الليل ، وأجازه أيضا في الطين دون المطر في الليل .

واختلفوا في عذر المرض ، فالمشهور من مذهب الشافعي والأكثرين أنه

---

(1) قال شيخنا الشهيد . رحمه الله . في (الذكرى) : 119 . : بعد كلام له في استحباب التفريق . :

وبالجملة كما علم من مذهب الإمامية جواز الجمع بين الصلاتين مطلقا ، علم منه استحباب التفريق بينهما بشهادة النصوص والمصنفات بذلك . انتهى .

وقال صاحب (العروة الوثقى) . من أئمتنا المتأخرين . : يستحب التفريق بين الصلاتين المشتركتين في الوقت كالظهرين والعشاءين . (كتاب الصلاة . فصل أوقات اليومية ونوافلها . مسألة 7) .

---

(77)

لا يجوز ، وجوزه أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ، وكذا أباحه مالك إذا خاف أن يغمى عليه أو كان به

بطن .

ومن رام الوقوف على أسباب الجمع وشروطه عندهم فعليه بكتب فروعهم .

وقد دلت السنة الصحيحة الصريحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جمع بين الصلاتين في الحضر دون عذر ، وما أراد بذلك إلا التوسع على أمته رفع الحرج عنهم ، وهذا مما اتفق أهل الإسلام على صحته ، وقد رواه الفريقان بأسانيد متعددة وطرق مختلفة .

لكن المنكرين لإباحة الجمع تأولوا تلك النصوص على غير ظواهرها .كما ستعرف إن شاء الله . وطعنوا على أهل الحق باختيارهم جواز الجمع مطلقا .

إذا تقرر ذلك ، فاعلم أن الكتاب والسنة يدلان على حقية مذهب أصحابنا الإمامية في مسألة الجمع بين الصلاتين بقول مطلق وصحته ، وهما المرجع عند الاختلاف كما قال الله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) [سورة النساء 4 : 59] .

دليل جواز الجمع بين الصلاتين من القرآن الكريم :

أما الكتاب العزيز فقوله عز من قائل : (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) (2) .

تقريب الاستدلال بالآية : أن الله سبحانه وتعالى قد افترض على عباده في اليوم خمس صلوات ، أربعا منها من دلوك الشمس . وهو الزوال على

---

(2) الإسراء 17 : 78 .

الصحيح . إلى غسق الليل . وهو انتصافه . ، فالظهر والعصر من زوال الشمس عن كبد السماء إلى غروبها ، وتشتركان في الوقت إلا أن الأولى قبل الثانية ، وكذا المغرب والعشاء تشتركان في الوقت من الغروب إلى غسق الليل إلا أن المغرب قبل العشاء ، وأفرد تبارك وتعالى صلاة الفجر بالذكر في قوله جل ثناؤه : (وقرآن الفجر) .

فالآية دالة على وجوب الصلوات الخمس ومتضمنة لبيان أوقاتها على ما هو المعروف من مذهب أصحابنا الإمامية ، ولازم اتساع الوقت جواز الجمع كما لا يخفى على ذي درية .

وقد رووا ذلك عن باقر العلم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح .

قال عليه الصلاة والسلام : قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) أربع صلوات سماهن الله وبينهن ووقتهن ، وغسق الليل هو انتصافه ، ثم قال تبارك وتعالى : (وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهودا) فهذه الخامسة .

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) قال : منها صلاتان أول وقتهما من زوال الشمس إلا أن هذه قبل هذه ، ومنها صلاتان أول وقتهما من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه .

وهذا مذهبه ومذهب آبائه وأبنائه الطاهرين الكرام صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، وهم عيبة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسفن نجاة الأمة ، وعدل القرآن ، وأمناء الوحي ، فمن ذا الذي ينكر فقه هؤلاء الأمجاد ؟ أم أي منصف يعرض عن مذهب أولئك الأسياد ؟ ! فالمتعين على المسلم الانقطاع إليهم في الأصول والفروع ، لانهم أدرى بمقاصد القرآن العظيم والذكر الحكيم ، كيف لا ؟ ! وقد نزل الكتاب في بيوتهم ، فهم أولى

بالاتباع من الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل المذاهب الفقهية ، لأن هؤلاء أيضا ينتهون في العلم إليهم عليهم السلام ، وقد أخذ الإمامان أبو حنيفة ومالك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وقوله : (لولا السنتان لهلك النعمان) يشهد بها الخافقان .

ولنعم القول قول شيخ الإسلام العلامة الشيخ سليم البشري المالكي : إن الأئمة الاثني عشر أولى بالاتباع من الأئمة الأربعة وغيرهم ، لأن الأئمة الاثني عشر كلهم على مذهب واحد قد محصوه وقرروه بإجماعهم بخلاف الأربعة ، فإن الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلها فلا تحاط موارده ولا تضبط .

قال : ومن المعلوم أن ما يمحصه الشخص الواحد لا يكافئ في الضبط ما يمحصه اثنا عشر إماما ، هذا كله مما لم تبق فيه وقفة لمنصف ، ولا وجهة لمتعسف . انتهى (3) .

أخرج الصدوق ابن بابويه رحمه الله في (الفقيه) بإسناده عن عبد الله بن سنان ، عن الصادق عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وجمع بن المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحد وإقامتين .

وأخرجه الشيخ رحمه الله في (التهذيب) بإسناده عن عمر بن أذينة ، عن رهط منهم الفضيل بن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وأخرج في (العلل) عنه عليه السلام قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب ، فقال له عمر . وكان أجرأ القوم عليه . : أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : لا ، ولكن أردت أن أوسع على أمتي .

---

(3) المراجعات . للإمام شرف الدين العاملي رحمه الله . : 129

---

(80)

وأخرج في (العلل) أيضا بإسناده عن عبد الملك القمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أجمع بين الصلاتين من غير علة ؟ قال : قد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أراد التخفيف عن أمته .

وأخرج ثقة الإسلام الكليني . رحمه الله تعالى . في (الكافي) بإسناده عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة ، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة في جماعة ، وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتسع الوقت على أمته .

وأخرج الشيخ رحمه الله في (تهذيب الأحكام) و (الاستبصار) بإسناده عن إسحاق بن عمار ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام : نجمع بين المغرب والعشاء في الحضر قبل أن يغيب الشفق من غير علة ؟ قال : لا بأس (4) .

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول :

ذكر الإمام فخر الرازي في (مفاتيح الغيب) (5) كلاما شافيا في تفسير الآية آنفة الذكر ، قال : فإن فسرنا

الغسق بظهور أول الظلمة . وحكاه عن ابن عباس وعطاء والنضر بن شميل . كان الغسق عبارة عن أول المغرب ، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات : وقت الزوال ، ووقت أول المغرب ، ووقت الفجر .

قال : وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتا للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين ، وأن يكون أول المغرب وقتا للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا أيضا بين هاتين الصلاتين ، فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء مطلقا ، إلا أنه دل الدليل على أن الجمع

---

(4) تفصيل وسائل الشيعة 4 / 220 . 223 .

(5) مفاتح الغيب (التفسير الكبير) 21 / 26 . 27 .

في الحضر من غير عذر لا يجوز ، فيوجب أن يكون الجمع جائزا لعذر السفر وعند المطر وغيره . انتهى .

قلت : ما أحسن ما استنبطه هذا الإمام الجهد من الآية الشريفة ، إلا أنه مال باستدراكه عن الحق وحاد عن الصواب ، وسيأتي إن شاء الله تعالى على ما ظنه مانعا من جواز الجمع في الحضر مطلقا .

فإن قيل : إن الآية مخصوصة بفعل الرسول أو بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : صلوا كما رأيتموني أصلي . كما ذكره النيسابوري في تفسيره (6) .

قلنا : أما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلا دلالة فيه على التخصيص في المقام ، لأنه أعم من مورد النزاع ، لما سيأتي إن شاء الله تعالى من أن مواظبته عليه وآله الصلاة والسلام على التوقيت في غالب الأحوال لا يدل على تعينه ووجوبه ، وإن دل على أفضليته واستحبابه .

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (صلوا كما رأيتموني أصلي) فلا يقتضي عدم جواز الجمع بين الصلاتين .

إذ غاية ما يدل عليه هذا الحديث وجوب متابعته صلى الله عليه وآله وسلم في هيئة الصلاة وأفعالها ، وإلا فقد أدعي أنه لا يدل . في نفسه . على الوجوب والاستحباب ، وغيرها ، ضرورة اشتمال صلاته عليه وآله الصلاة والسلام على بعض المندوبات والمباحات ، والتمييز محتاج إلى قرينة كانت موجودة وقت الخطاب

غير ظاهرة لدينا .

على أن السنة قد بينت أنه صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الصلاتين في وقت واحد من غير عذر ولا علة ، فلا مجال للتوهم المذكور .

ولعمري إن من نظر بعين الإنصاف ، ونزع عنه جلباب التعنت والاعتساف ، أذعن بدلالة الآية على مذهب أصحابنا الإمامية . نصر الله بهم

---

(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان . المطبوع بهامش تفسير الطبري . 15 / 74 .

---

(82)

الحق . من جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر مطلقا ، والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم .

أدلة جواز الجمع بين الصلاتين من السنة :

وأما السنة : فمستفيضة بين الفريقين ، صريحة في جواز الجمع في الحضر ، لا يرتاب في ذلك ذو تحصيل ، حتى قال إمام الحرمين الجويني الشافعي : ثبت في الجمع أحاديث نصوص لا يتطرق إليها التأويل . كما حكاه الزرقاني في شرح الموطأ (7) . ونحن ورد منها هاهنا ما يتم به المقصود إن شاء الله تعالى فنقول :

أخرج أحمد والبخاري ومسلم (8) عن عمرو بن دينار ، عن أبي الشعثاء جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانيا جميعا وسبعا جميعا ، قال عمرو بن دينار : قلت : يا أبا الشعثاء ، أظنه أخر الظهر وعجل العصر ، وأخر المغرب وعجل العشاء ، قال : وأنا أظن ذلك .

وأخرجوا أيضا (9) عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة مقيما غير مسافر سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وأخرج أحمد ، عن جابر بن زيد ومسلم والترمذي (10) عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير

---

(7) شرح الموطأ 1 / 295 .
(8) مسند أحمد 1 / 221 ، صحيح البخاري 2 / 72 ، صحيح مسلم 2 / 152 .
(9) مسند أحمد 1 / 223 ، صحيح مسلم 2 / 152 ، سنن الترمذي 1 / 354 .
(10) مسند أحمد 1/ 223 ، صحيح مسلم 2/ 152 ، سنن الترمذي 1 / 354.
---
(83)
خوف ولا مطر .

ورواه ذلك مالك في (الموطأ) (11) ومسلم في صحيحه بلفظ : في غير خوف ولا سفر ، قال مالك : أرى ذلك كان في مطر ، انتهى .
قال مسلم : وفي حديث وكيع قال : قلت لابن عباس : لم فعل ذلك ؟ قال : كي لا يحرج أمته ، وفي حديث أبي معاوية : قيل لابن عباس : ما أراد إلى ذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته .
وأخرج أحمد ومسلم أيضا (12) عن عبد الله بن شقيق العقلي ، قال : خطبنا ابن عباس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة ، قال : فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني يقول : الصلاة الصلاة ، فقال ابن عباس : أتعلمني بالسنة لا أم لك ؟ ! ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قال عبد الله بن شقيق : فحاك في صدري من ذلك شيء ، فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته .
وقد علق سيدنا الإمام شرف الدين العاملي . رحمه الله ورضي عنه وأرضاه . على ذلك فقال (13) : من هوان الدنيا على الله تعالى وهوان آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء أن يحوك في صدورهم شيء من ابن عباس فيسألوا أبا هريرة ، وليتهم بعد تصديق أبي هريرة عملوا بالحديث . انتهى .
وأخرج مسلم (14) عن عبد الله بن شقيق أيضا ، قال : قال رجال لابن

---

(11) الموطأ 1 / 144 ح 4 ، صحيح مسلم 2 / 151 .
(12) مسند أحمد 1 / 251 ، صحيح مسلم 2 / 152 . 153 ، وكذا رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار وأبو داود الطيالسي في مسنده 11 / 355 .

(13) مسائل فقهية خلافية . مبحث الجمع بين الصلاتين .

(14) صحيح مسلم 2 / 153 .

---

(84)

عباس : الصلاة ، فسكت ، ثم قال : الصلاة ، فسكت ، ثم قال : الصلاة ، فسكت ، ثم قال : لا أم لك ، أتعلمنا بالصلاة وكنا نجمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ !

وأخرج البخاري (15) عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والغرب والعشاء ، فقال أيوب : لعله في ليلة مطيرة ؟ قال : عسى .

قلت : سيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى .

وأرسل البخاري أيضا (16) عن ابن عمر وأبي أيوب وابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى المغرب والعشاء ، يعني جمعهما في وقت إحداهما دون الأخرى .

وأخرج مسلم (17) عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعا بالمدينة في غير خوف ولا سفر ، قال أبو الزبير : فسألت سعيدا لم فعل ذلك ؟ فقال : سألت ابن عباس كما سألتني ، فقال : أراد أن لا يحرج أحدا من أمته .

وأخرج أيضا في (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر) من صحيحه (18) عن سعيد بن جبير ، قال : حدثنا ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك ، فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قال سعيد : فقلت لابن عباس : ما حمله على ذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته .

---

(15) صحيح البخاري 1 / 143 . 144 .

(16) صحيح البخاري 1 / 148 .

(17) صحيح مسلم 2 / 15 .

(18) صحيح مسلم 2 / 151 .

وأخرج في الباب المذكور (19) حديثين عن أبي الطفيل عامر بن وائلة ، قال : حدثنا معاذ بن جبل ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، قال : فقلت : ما حمله على ذلك ؟ قال : فقال : أراد أن لا يحرج أمته .

واعلم أن حديث ابن عباس ومعاذ بن جبل في جمعه صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك لا يختص بمورده . أعني السفر . إذ علة الجمع فيه مطلقة لا دخل فيها للسفر من حيث كونه سفرا ، ولا للمرض والمطر والطين والخوف من حيث هي هي ، وإنما هي كالعام يرد في مورد خاص فلا يتخصص به ، بل يطرد في جميع مصاديقه إذ العبرة بعموم الوارد دون المورد ، ولذا ترى الإمام مسلما لم يورده في باب الجمع في السفر ، إذ لا يختص به ، وإنما أورده في باب الجمع في الحضر ، ليكون من أدلة جواز الجمع بقول مطلق ، وهذا من فهمه وعلمه وإنصافه . كما قال الإمام ابن شرف الدين رحمه الله (20) . .

وأخرج أبو داود في سننه (21) عن ابن عباس ، قال : جمع رسول الله بين الظهر والعصر والغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر ، فقيل لابن عباس ما أراد إلى ذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته .

وأخرج عنه أيضا (22) عن ابن عباس ، قال : صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ثمانيا وسبعا ، الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وأخرج النسائي في سننه (23) عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، من

---

(19) صحيح مسلم 2 / 152 .

(20) مسائل فقهية خلافية . مبحث الجمع بين الصلاتين .

(21) سنن أبي داود 2 / 6 ح 1211 .

(22) سنن أبي داود 2 / 6 ح 1214 .

(23) سنن النسائي 1 / 290 .

غير خوف ولا سفر .

وأخرج عنه أيضا (24) قال : صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانيا جميعا وسبعا جميعا .

وأخرج عنه أيضا (25) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بالمدينة يجمع بين الصلاتين ، الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، من غير خوف ولا مطر ، قيل له : لم ؟ قال : لئلا يكون على أمته حرج .

وأخرج النسائي في سننه وأبو نعيم في الحلية (26) عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، أنه صلى بالبصرة الأولى والعصر ليس بينهما شيء ، والمغرب والعشاء ليس بينهما شيئ ، فعل ذلك من شغل ، وزعم ابن عباس أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة الأولى والعصر ثماني سجدات ليس بينهما شيء .

وأخرج عبد الرزاق بن همام في جامعه ، قال : أنبأنا ابن جريح ، عن عمرو بن شعيب ، قال : قال عبد الله بن عمر : جمع لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقيما غير مسافر بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، فقال رجل لابن عمر : لم ترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك ؟ قال : لئلا يحرج أمته إن جمع رجل (27) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية (28) عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمان ركعات جميعا ، وسبع ركعات جميعا ، من غير

---

(24) سنن النسائي 1 / 290 .

(25) سنن النسائي 1 / 290 .

(26) سنن النسائي 1 / 286 ، حلية الأولياء 3 / 90 ، مسند أبي داود الطيالسي 10 / 341 ح 2613 .

(27) مصنف عبد الرزاق 2 / 556 ح 4437 ، كنز العمال 2 / 242 ح 5078 .

(28) حلية الأولياء 3 / 90 .

مرض ولا علة .

وأخرج الطبراني في الصغير ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء .

وأخرج أيضا في الأوسط (29) والكبير ، بسنده عن عبد الله بن مسعود ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . يعني بالمدينة . بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، فقيل له في ذلك ، فقال : صنعت ذلك لئلا تحرج أمتي .

وأخرج الطحاوي في : معاني الآثار [1 / 161] بسنده عن جابر بن عبد الله ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة للرخص من غير خوف ولا علة .

وأخرج البزار في مسنده ، عن أبي هريرة ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الصلاتين بالمدينة من غير خوف .

وغير ذلك من السنن المستفيضة الواردة في هذا الباب .

على أن في هذا القدر غنية وكفاية لأولي البصائر والألباب .

وهذه الأحاديث صريحة في أن جمعه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة من غير خوف ولا مطر إنما هو لبيان جواز الجمع ومشروعيته ، لئلا يتوهم حظره من مداومته صلوات الله وسلامه عليه على التفريق ، ومواظبته على التوقيت في غالب الأحوال .

وهي روايات صحيحة أخرجها أصحاب الصحاح وأرباب السنن والمسانيد ، فترك الجمهور العمل بها لا يقدح في صحتها ، ولا يوجب سقوط الاستدلال بها . كما صرح بذلك الشوكاني في نيل الأوطار (30) . .

---

(29) المعجم الأوسط ، المعجم الصغير 2 / 94 ، المعجم الكبير 10 / 269 ح 10525 .

(30) نيل الأوطار 3 / 248 .

قبلصلة

ديوان

الإجازات المنظومة

صنعة :

السيد محمد رضا الحسيني الجلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد الأمين ، والأئمة الأطهار المعصومين ، من آله الأكرمين .

وبعد :

فإن الحديث الشريف هو ثاني مصادر المعرفة الإسلامية ، بعد القرآن الكريم في الحجية والاعتبار وأوسعها في كثرة الموارد ، ووفرة الآثار .

وقد أكد الله جل وعلا في كتابه الكريم على طاعة الرسول وقرنها بطاعته حيث قال : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء / 59 ، وقال : (ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر / 7 .

كما إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم . نفسه . أكد على الاهتمام بالحديث الشريف ، بالعلم والعمل ، والحفظ والحمل ، والفهم والتفهيم ، والأداء والتبليغ .

وكذلك أكد الأئمة الأطهار عليهم السلام على أهمية الحديث ووجوب اتباعه .

فمن الأحاديث الشريفة :

(نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه . . .) .

(من أدى حديثا يعلم به سنة ، أو يثلم به بدعة ، فله الجنة) .

(ليبلغ الشاهد الغائب . . .) .

والحديث المشهور : (من حفظ على أمتي أربعين حديثا . . . بعثه الله فقهيا . . .) .

(اكتب وبث علمك في إخوانك . . .) .

اهتمام العلماء بالحديث الشريف :

ولذا اهتم علماء المسلمين بالحديث الشريف أيما اهتمام ، وأحاطوه بكل وسائل الحيطة والحذر ، للحفاظ عليه ورعايته ، متبعين أساليب علمية رصينة ، فحددوا لمصطلحاته وأصوله مرسومة ، وخططوا لمناهجه خططا مدروسة ، وأسسوا علوما عديدة لتجميع قواعده ، وضبط نصوصه ، واستيعاب معناه وتفسيره ، وهي

:

1 . علم الحديث ، المتكفل بتدوينه ، وضبط نصوصه وروايته ، وتفسيره وشرحه .

---

2 . علم المصطلح والدراية ، المتكفل بتاريخه ، ومناهج تأليفه ، وشؤون أدائه وروايته وآداب حمله ونقله ، وما يرتبط بحامليه من آداب وأوصاف ، وما له من أقسام وأحكام من حيث المتن والسند ، وما يدور في فلكه من تراث .

3 . علم الرجال ، المتكفل بأحوال رواته ، ورجال أسانيده من حيث الاعتماد والوثاقة ، والسداد والضبط ، أو ما يخالف ذلك ، وكذلك تراجم حياتهم وشؤون نشاطهم العلمي .

وتعد الثروة العلمية ، والجهد المبذول في سبيل الحديث الشريف من خلال هذه العلوم ، ثروة هائلة كما وكيفا ، بل تشكل القسم الأكبر من تراث

الإسلام العلمي ، ومن أهم مصادر الفكر والمعرفة الإسلامية الخالدة .

الطرق العلمية لتحمل الحديث وأدائه وصيانته :

ومما قرره علماء الحديث في باب (دراية الحديث ومصطلحه) هو : تحديد (الطرق) التي يتم عبرها نقل الحديث وتداوله ، والتي بها يتحمله الشيوخ ، وبها يؤدونه إلى الرواة .

وقد حصروها . بالاستقراء والحصر العقلي الدقيق . في (ثمان طرق) اتفق على بعضها ، واختلف في البعض الآخر .

كما وقع بينهم بحث في ترتيبها ، وتقديم بعضها على الآخر ، وفي شروط كل منها ، وما يرتبط بكل واحد من شؤون وخصوصيات إلا أن الأكثرين جروا على أنها (ثمان) وبالترتيب الآتي :

1 . السماع ، ومنه الاملاء .

2 . القراءة ، وهي العرض .

3 . الإجازة . وسنبحث عنها .

4 . المناولة .

5 . المكاتبة .

6 . الإعلام .

7 . الوصية بالحديث وكتبه .

8 . الوجادة .

والمهمة الأساسية لهذه الطرق هي (البلوغ) بالحديث إلى الرواة ، ليكونوا متلقين له بوثوق واطمئنان ، وضبط ، وتأكد من صحته ، وعدم تحريف أو تصحيف في نصه (1) .

---

(1) ولعلماء الحديث بحوث مفصلة حول هذه الطرق .

وقد وفقنا الله عز ذكره لجمع أهم ما يرتبط بها من بحوث في كتاب (الطرق الثمان لتحمل

وكذلك استفادوا من هذه الطرق ، للتأكد من نقل كل المعارف عبر الأجيال ، والمحافظة على النصوص وتوثيقها ، وحمايتها من التعرض لأشكال التحريف والتصحيف ، سواء المعتمدة كالوضع والتزوير ، أم العارضة لنسيان ، أو غفلة ، أو ذهول .

وتعد هذه المحاولة من أدق طرق التوثيق للنصوص ، وأكثر أساليب الحماية لها ، من بين طرقه المعروفة في الحضارات البشرية ، قديما وحديثا ، بل علماء الإسلام هم المثل في اختراع هذه المحاولة بين علماء سائر الأديان والمذاهب ، بل الحضارات كلها .

(الإجازة) وموقعها بين الطرق الثمان :

وقد كانت (الإجازة) في ترتيب الطرق ، ثالثتها عند الأكثرين ، كما سبق ، وهذا يدل على ما للإجازة من أهمية عندهم ، لأن كونها بعد (السماع) و (القراءة) مباشرة ، وهما أقوى الطرق ، حيث لم يقع اختلاف في حجيتهما واعتبارهما والأكثر تداولا في الرواية ، فلا بد أن تكون (الإجازة) تالية تلوهما وشريكة لهما في وجود عناصر القوة والحجية والتداول ، بما يمكن معه اعتماد هذا الترتيب وهذا الالتزام .

ولذلك . أيضا . نجد علماء الحديث قد أولوا (الإجازة) اهتماما بليغا ، فبذلوا حولها جهودا كبيرة ، سواء في مجال التطبيق والتداول ، أم في مجال البحث عنها والتأليف حولها (2) أو في مجال جمع نصوصها ، وتنظيم كتب خاصة

الحديث وأدائه) فصلنا في القول عن : حقيقتها ، ووجه الحاجة إليها ، وسبب حصرها في الثمان ، وبحثنا عن شروطها ، وأقسامها ، ورتبة كل طريق ، والدليل على اعتباره ، وما إلى ذلك من شؤون ، ونسأل الله جل اسمه أن يوفقنا لإتمامه وتقديمه إلى المجتمع العلمي .

(2) لقد تعددت المؤلفات التي تحدثت عن (الإجازة) في التراث الإسلامي ، وقد أسهمنا في ذلك بتأليف كتاب حافل ، في فصول عديدة ، شملت : تاريخ الإجازة ، وحقيقتها ، وفائدتها ،

لذكر مشايخها بعناوين ، مثل : (المشيخة) و (الفهرست) و (الثبت) و (المعجم) و (البرنامج) و (الإجازة) وهذا العنوان الأخير أكثرها تداولا في الحواضر العلمية للشيعة الإمامية ، وخاصة في الأعصر الأخيرة (3) .

دور الإجازة العلمي ، قديما وحديثا :

ولقد كانت (الإجازة) تؤدي ذلك الدور العلمي المهم ، بصورة دقيقة ، ومنتظمة ، وواسعة ، إلى جنب طرق التحمل الأخرى ، في أوج نضارة العلم ، عند ازدهار الحضارة الإسلامية المجيدة ، وحتى نهايات القرن السادس .

ولما آلت شمس تلك الحضارة إلى الغروب ، وضعفت الهمم عن اتباع الآثار الحميدة ، وخبت أنوار المعرفة وأضواؤها في المعاهد العلمية والمدارس الدينية ، وتهاوت أعمدة العلم والمكتبات ، كان نصيب تلك الطرق من تلك النكسة الحضارية : قلة الاهتمام ، وعدم التداول ، فلحق الإجازة مثل ما لحق أخواتها من الاهمال ، أو الانحراف عن الأهداف الصحيحة !

ومن الملاحظ ، أنه على الرغم من أن الطرق الأخرى آل أمر أكثرها إلى الهجران والتعطل النهائي ، وإلى الترك المطلق . في عصرنا الحاضر . فلا نجد لحلقات السماع أثرا ، ولا لمجالس الاملاء ذكرا ، ولا لقراءة الحديث دورا ، فضلا عن المناولة والكتابة وغيرهما من الطرق التي كان الاختلاف واقعا فيها

ومشايخها ، وما إلى ذلك ، وقدمنا أمام البحث قائمة بالتراث الذي سبق تأليفه حولها .

(3) جمع المحدث المغربي محمد عبد الحي الكتاني ، أسماء ما يريد على 1200 كتاب مما هو حول أحد هذه العناوين في كتابه (فهرس الفهارس والأثبات) المطبوع ، وبما أنه أغفل ذكر أي واحد من مؤلفات الشيعة الإمامية في هذا المضمار فقد استدركنا عليه بذكر 110 منها ، في مقال بعنوان (فوات فهرس الفهارس والأثبات) نشرناه في هذه المجلة (تراثنا) العدد 29 .

(4/10)

وقد جمع شيخنا المحدث اليماني السيد محمد بن حسين الحلال الصنعاني . دام عمره . في إجازته لنا المسماة بـ (الأنوار السنية) أسماء 177 منها ، وفيها عدد مما يستدرك على الكتاني ، ولا تزال محفوظة .

---

(275)

منذ البداية .

فعلى الرغم من ذلك ، فإنا نجد (الإجازة) لا تزال تذكر ، بل نجدها تتداول ، وتتعاطى ، ويستعملها ثلة من العلماء ، ويصدرها آخرون ، ويطلبها جماعة ، وتبحث عنها أخرى ، ويناقش فيها البعض .

بل ، لم ينقطع علماء الإسلام من استعمال الإجازة على طول التاريخ ، وإن ماتت الطرق الأخرى ، أو بارت !

وهذا مؤشر كبير إلى أن للإجازة شأنا آخر ، حيث بقيت مقاومة للاندثار والاضمحلال ، ولو بشكلها الحاضر ، البعيد عن واقعها العلمي ، مما يكشف عن وجود مكانة لها في أنظار العلماء !

فلا يزال العلماء حريصين على الاحتفاظ بعملية الإجازة والاستجارة ، ومهتمين بها غاية الاهتمام ، فهم ، بكل فرقهم وانتماءاتهم المذهبية ، ومع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم ، ملتزمون بما يسمى (إجازة الحديث) .

ومع القطع بأن الإجازة فقدت أهدافها المنشودة من وضعها ، حيث كانت أداة . مقبولة . لتحمل الحديث وأدائه ، وضبطه والتوثق من نصه ، إلى جانب الطرق الأخرى المؤدية إلى صحة نسبة النص إلى قائله ومؤلفه ، وبلوغه إلى ناقله وراويه ، فإن بالإمكان تحديد أهداف العلماء . في العصور المتأخرة . من عملية الإجازة بما يلي :

أولا : إن الإجازة . بصورتها الحالية . تعبير رمزي عما سار عليه العلماء من أجل الحفاظ على العلم ونصوصه ، والتوثق منها ، في عملية التبادل والتعاطي ، بل هي كما عرفنا صورة وحيدة متبقية من الطرق المعتمدة لتحمل الحديث وأدائه .

فيمكن الاستناد إلى سيرتهم المستمرة على عد أصل عملية (الإجازة) أمرا مستحسنا ذا أثر واضح في دعم المعرفة الإسلامية بالتوثق من نصوصها ، والارتباط بمصادرها ، والاتصال بحملتها ، وكل ذلك كان حرصا على استمرار

الحضارة الإسلامية في الجانب الثقافي .

وثانيا : إن الإجازات المتأخرة . وإن فقدت بعض عناصرها الأصلية . إلا أنها اعتمدت على احتواء الطرق المؤثرة في معرفة طبقات العلماء ، ونسبة أسماء الكتب المؤثرة في الفهرسة ، والتحقق من الأقوال والآراء المؤثرة في تاريخ العلوم ، ومعرفة الاتفاق ، أو الاجماع ، أو الاختلاف أو الانفراد .

وأما أوضح آثار هذه الإجازات المتأخرة فهي الفوائد التاريخية التي تحتويها من تراجم العلماء ونشاطاتهم العلمية ، وتخصصاتهم وانتماءاتهم ، وأخبارهم ، وما إلى ذلك مما يدخل في فرع الترجمة والبيوغرافية .

ثالثا : إن الإجازة . ولو بشكلها الصوري المتداول . هي الأوفق بالاحتياط ، عندما يشترط في الفقيه أن تكون الرواية قد بلغته ، ليصح أن يكون (راويا لها) لأن صدق اسم الراوي لا يتم إلا بعد (البلوغ والتحمل) .

وبما أن الطرق كلها مفقودة ، ولم يبق إلا (الوجادة) التي هي أضعف الطرق ، مع أن (الوجادة) الفعلية أيضا فاقدة للعناصر المهمة اللازمة فيها ، فيكون اللجوء إلى الإجازة . ولو الاسمية . أقرب إلى الاحتياط لتحقيق البلوغ ، وصدق الاسم .

وهذا معنى ما يقال : إن فائدة الإجازة . في عصرنا . هو : الانسلاك والاندراج في سلسلة رواة الحديث .

وبهذا يمكن القول بأن الإجازة . ولو بصورتها الفعلية . أهم مما قد يتراءى من بعضهم ، حيث عدوها عملية (تبرك وتيمن) فحسب !

لأن الفوائد التي عرضناها ، هي التي جعلت العلماء الأعلام يهتمون بأمرها ، ويصرفون أوقاتهم الغالية في تأليفها وجمعها وتنظيمها وإدراجها في أعمالهم وتصانيفهم .

وإذا أعطى أولئك الذين يستهينون بأمر الإجازة . ولو بشكلها المتأخر .

النصف من أنفسهم ، لأمكنهم الاقتناع بأن الجهود المبذولة في الإجازة تعد من أغنى فروع المعرفة الإسلامية من حيث التراث والكتب : ثراءا وسعة واهتماما .

فهل يمكن القول ، أو التصور ، بأن كل ذلك الذي قاموا به ، وحصل ، كان لا لثمرة شرعية ، ولا علمية ، ولا من أجل عائدة عملية تعود على الإسلام والأمة ، إلا مجرد التبرك ؟ !

ولأن الإجازات المتأخرة ، لبعدها عن أهدافها العلمية الأصيلة أصبحت صورية وشكلية ، أدى ذلك بالمحققين من العلماء المتأخرين ، وخاصة المعتمدين للمناهج العقلية ، والمعتادين للتفكير بطريقتها ، إلى أن لا يجدوا ما يقنعهم بضرورتها أو حجيتها ، وقد يصل الأمر عند بعضهم إلى تزييفها ورفضها كليا .

وتعدوا . بالاستصحاب العكسي . إلى الإجازة في عصرها الأول ، وقد كانت . وبلا ريب . من الطرق المعتمدة المتسالم عليها ، بل ثالثة الطرق ، كما ذكرنا في بداية هذه الكلمة وقد أشرنا إلى سر الاعتماد عليها وكونها طريقا مقبولة للتحمل والأداء .

فخلط بعض العلماء والباحثين بين الإجازة في عصرها الأول ، وبين الإجازة في حالتها المعاصرة ، وأطلق الحكم عليهما بمعيار واحد ، من دون تمييز للأبعاد والفوائد المترتبة عليها في كلك حالة ، أو أدائها للمراد منها في كل من العصرين !

وهذا أمر يستبعده لزوم التثبت ، والتحقيق ، والدقة ، والنظر إلى الأمر من جوانب وأبعاد متعددة .

وللحديث عن كل هذه الأمور مجال أنسب ، لعلنا نوفق له مستقبلا بعون الله تعالى .

* * *

الإجازة في الأدب الإسلامي :

ولقد فرضت (الإجازة) نفسها على الأدب ، لكونها واحدا مما كثر تداوله وشاع القيام به بين العلماء والذين يمسك كثير منهم بأزمة الأدب (4) فقد قام من أوتي موهبة الشعر وملك سليقته بنظم الإجازة ، في مقطوعة شعرية جميلة .

تل تكلف بعضهم بنظم ما أراد إسهاما منه في تخليد إجازة شعرية .

فتكون من ذلك نوع جديد من الأدب ، يجمع بين جمال الشعر وروعته ، وبين قيمة العلم وعظمته ، وبين مجد الحديث وقدسيته .

ولقد وجدت في جمع (الإجازات المنظومة) وعرضها إثارة لموضوع (الإجازة) بلغة جميلة ، يستذوقها المتأدبون ، يرتاح لها المحدثون .

كما أن العرض يحتوي على الدلالة الواضحة لتأثير الإجازة في نفوس العلماء ، بحيث كان لها من حبهم وعاطفتهم نصيب كبير هز قرائحهم ودعاهم إلى نظمها !

وقبل أن ننتهي من هذا التقديم ، نود أن نشير إلى أن هناك اصطلاحا يستعمل في باب الشعر من الأدب العربي ، بلفظ (الإجازة) ، وهي كما ذكره الأنصاري : أن تتم مصراع غيرك (5) ويقال لها : (التمليط) أو (الإملاط) أيضا .

وقال الفيروز آبادي : الإجازة في الشعر ، مخالفة حركات الحرف الذي يلي حرف الروي (6) .

---

(4) إن علماء الإسلام ، لا بد أن يتوفروا على علوم الأدب ، باعتبار أن النصوص الإسلامية المقدسة . كلها . هي باللغة العربية ، وفي قمة الأعمال الأدبية ، فالقرآن المصدر الأساسي الأول للمعرفة الإسلامية ، وهو معجزة البلاغة العربية ، وكذلك السنة الشريفة ، وبعد ذلك فإن أكثر التراث الإسلامي مكتوب بهذه اللغة المجيدة ، بل تنافس المتنافسون في تميزها بأجمل محسنات الأدب .

(5) لسان العرب 7 / 195 .

(6) القاموس المحيط 2 / 170 .

وبعضهم خص الإجازة ، بأن تكون قافية طاءا ، والأخرى دالا ، وقيل : هذا هو (الاكتفاء) وسماه بعضهم (الإجازة) بالراء المهملة (7) .

ومهما كان أمر هذا المصطلح الشعري ، فإنا لا نبحث عن ذلك هنا ولا نقصده .

بل الذي نقصده هو (إجازة الحديث) . التي هي بمعنى الإذن في الرواية تحميلا لها من الشيخ للراوي ،

وهي من الطرق الثمان للتحمل والأداء . إذا وردت مكتوبة في مقطوعة شعرية موزونة ، سواء في شكل قصيدة ، أو أرجوزة مزدوجة ، والحديث عنها في نظم .

ثم إن جمعنا لها لم يكن عن قصد إليها ، وإنما تم جمع ما وقع في طريق المطالعة أو الصدقة ، فلذلك لا ندعي الاستيعاب لكل ما قيل في ذلك ، ومن المتصور أن تكون مجموعة كبيرة منها قد فاتنا تسجيلها ونقلها هنا ، ولم نجد الفرصة للاستقراء التام لجمعها .

وأما ترتيب هذه المجموعة :

فقد كان من المناسب إيرادها على التسلسل الزمني ، حسب تواريخ صدورها ، أو وفيات المجيزين ، أو المجازين .

وأقدم ما وفقنا عليه هي اللامية التي نظمها محمد بن الجهم السمري . من أعلام القرن الثاني . ثم اللامية التي نظمها أحمد بن أبي المقدام العجلي (ت **241**) ثم الدالية التي نظمها الرامهرمزي (ت **360**) ثم ما تلا ذلك .

إلا أن كثيرا منها لم نهتد إلى تاريخ محدد له ، فرأينا من الأفضل أن نرتبها على المتعارف في الدواوين الشعرية من وضعها وفق حروف المعجم في الروي من القافية ، وهو الأسهل تناولا ، والأكثر تداولا .

وقد فصلنا البحث عن حقيقة هذا المصطلح في كتابنا (إجازة الحديث) .

وأما الأراجيز المزدوجة ، فقد جمعناها في آخر الديوان .

ثم إني ذيلت كل مقطوعة بالمصدر الذي اعتمدته في نقلها ، وفهرست للمصادر وكذلك للأعلام المجيزين ، والمجازين ، تسهيلا للمراجعين .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

السيد محمد رضا الحسيني الجلالي

---

(281)

القصائد

وهي مرتبة على حروف المعجم في رويها

من روي الألف

(1)

طلب أبو بكر بن محمد الدلائي المغربي (ت 1046) إجازة من محمد ابن قاسم بن محمد القصار القيسي الغرناطي ، فقال :

أجزتم لكم مروينا مطلقا وما ... لنا ، سائلا أن تتحفوا بدعاء

وتاريخها سنة 1012 .

المصدر :

فهرس الفهارس . للكتاني . : 395 .

(2)

خاطب العارف الشيخ السنوسي جماعة فيهم الشيخ فالح الظاهري المدني ، مجيزا بقوله :

أجزتكم مروينا كله وما ... سيؤثر عني راجيا لدعاء

وذلك في سنة 1268 .

وقدم لبنان ، ورحل إلى الحجاز ومصر ودمشق وإيران ، وعاد إلى لبنان ، فكان مرجع الطائفة الشيعية ، وأسس الكلية الجعفرية بصور ، وتوفي ببيروت في 8 جمادى الآخرة سنة 1377 ، ونقل جثمانه إلى العراق فدفن بالنجف .

من آثاره : المراجعات ، وهي أسئلة وجهها سليم البشري إلى المترجم فأجاب عنها . أبو هريرة . الشيعة والمنار . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق . والفصول المهمة في تأليف الأمة) (8) .

وثالثا : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأن أحدا من أهل السنة لم يرد على المراجعات ، فلماذا لم يردوا ؟ ! أما كانوا يرون وجوب (تحذير المسلمين من عدوهم) على كل (داعية) ؟ ! أو لم يكونوا دعاة كما كان هذا القائل ؟ !

ورابعا : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأن هذا الكتاب قد أثر في المسلمين ، لكن قال : في بسطاء

المسلمين وعامتهم !

وقال آخر : (وفي عصرنا أيضا نجد كتابا يسعى جادا للدخول إلى كل بيت (9) . رأيت طبعته العشرين في عام 1402 ، ويوزع على سبيل الهدية في الغالب الأعم ، واسم الكتاب المراجعات . ذكر مؤلفه شرف الدين هذا الحديث بالمتن الذي بينا ضعف أسانيده (10) وقال : بأنه حديث متواتر . ثم نسب للشيخ سليم البشري رحمه الله ، شيخ الأزهر والمالكية أنه تلقى هذا القول بالقبول وأنه طلب المزيد . . .) (11) .

---

(8) معجم المؤلفين 5 / 87 .

(9) بل إن أبناء (البيوت) يقبلون عليه ويسعون وراء الحصول عليه وجلبه إلى البيوت . ولا يخفى ما تدل عليه كلمة أبناء (البيوت) من معنى ، منطوقا ومفهوما !

(10) يعني : حديث الثقلين . . وقد بينا في رده صحة قول السيد وغيره بتواتره ، فراجع كتابنا : (حديث الثقلين : تواتره . . فقه) كما سنبين ذلك هنا باختصار حين يأتي التعرض له إن شاء الله ، وقد بلغني وقوف الدكتور على الكتاب المذكور ، ولكن لم يصلني حتى الآن أي اعتراض عليه ، لا منه ولا من غيره .

---

(11) حديث الثقلين وفقه . للدكتور علي أحمد السالوس . : 28 .

وقال في كتيب أسماه : (عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية . . دراسة في ضوء الكتاب والسنة . هل كان شيخ الأزهر البشري شيعيا ؟ !) (12) .

قال في مقدمته : (وقبل أن أختم البحث رأيت أن أشير إلى الفرية الكبرى التي جاء بها الكاتب الشيعي شرف الدين الموسوي في كتابه (المراجعات) وأن أنبه إلى براءة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر مما نسبه إليه هذا المؤلف) .

ثم قال في الصفحة 170 : (مما رزئنا به في عصرنا كتاب يسعى جادا للدخول إلى كل بيت ، رأيت طبعته العشرين في عام 1402 . . .) .

وقال في الخاتمة : (ومن أكبر هذه المفتريات الكتاب المسمى (المراجعات) الذي لم يكتف مؤلفه

بجعل الأحاديث الموضوعة المكذوبة أحاديث ثابتة متواترة ، بل نسب لشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري رحمه الله أنه سلم بهذا وأيده . بل سلم بعقيدة الشيعة الجعفرية ، ورأى أن أتباع المذهب الشيعي الجعفري أولى بالاتباع من أي مذهب من المذاهب الأربعة) .

وقال ثالث : (وأما كتاب المراجعات فقد استحوذ على اهتمام دعاة التشيع ، وجعلوه أكبر وسائلهم التي يخدعون بها الناس . أو بعبارة أدق : يخدعون به أتباعهم وشيعتهم ، لأن أهل السنة لا يعلمون عن هذا الكتاب

(2/11)

---

(12) اسم ضخم ! ولكنه في 180 صفحة من القطع الصغير ! وقد جعل عليه عنوان (هل كان شيخ الأزهر البشري شيعيا ؟) ليوهم أنه سيحقق عن هذا الموضوع ، ولكن عندما تراجعه لا تجد إلا الاستبعاد ! إلا أن تشيع شيخ الأزهر دليل على تحقيقه وإنصافه ، وهكذا يكون حال كل مسلم إن حقق وأنصف ! كما دعا إلى ذلك السيد شرف الدين في كل ما حقق وصنف ! بخلاف حضرة الدكتور وأمثاله ، المدافعين عن بني أمية اقتداء بابن تيمية ! ولسان حالهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) والذي يؤكد ما ذكرنا في خصوص السالوس أنه يحاول إيجاد ضجة على الشيعة وأهل السنة المحققين المنصفين . من علماء الأزهر وغيرهم . الدعاء إلى التقريب بين المسلمين ، وذلك بإصدار كراريس ، أحدها في آية التطهير ، والآخر في حديث الثقلين ، وثالث في عقيدة الإمامة عند الشيعة . . . والحال أن كلا منها فصل من فصول كتابته الكبير الذي أسماه بـ : (أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله) فلاحظ وتأمل !

---

(144)

ولا غيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض ، اللهم إلا من له عناية واهتمام خاص بمذهب الشيعة . وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مائة مرة ، كما زعم ذلك بعض الروافض . والكتاب في زعم مؤلفه واقعة من وقائع التقارب بين أهل السنة والشيعة ، وهو عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشري ، وبين عبد الحسين هذا ، انتهت بإقرار شيخ الأزهر بصحة مذهب الروافض وبطلان مذهب أهل السنة .

والكتاب . لا شك . موضوع مكذوب على شيخ الأزهر ، وبراهين الكذب والوضع له كثيرة تعرض لبعض منها ، وقبل ذلك نشير إلى أن الروافض من دأبهم وضع بعض المؤلفين ونسبتها لبعض مشاهير أهل السنة ، كما

وضعوا كتاب (سر العالمين) ونسبوه إلى حجة الإسلام محمد الغزالي .
أما مظاهر وأمارات الكتاب والوضع في هذا الكتاب فمنها :

أولا : الكتاب عبارة عن مراسلات خطية بين شيخ الأزهر سليم البشري وبين هذا الرافضي ، ومع ذلك جاء نشر الكتاب من جهة الرافضي وحده ، ولم يصدر عن البشري أي شيء يثبت ذلك .
وثانيا : أن هذا الكتاب لم ينشره واضعه إلا بعد عشرين سنة من وفاة البشري ، فالبشري توفي سنة 1335 ، وأول طبعة لكتاب (المراجعات) هي سنة 1355 في صيدا .
وثالثا : أن أسلوب هذه الرسائل واحد هو أسلوب الرافضي ، ولا تحمل رسالة واحدة أسلوب البشري .
ورابعا : أما نصوص الكتاب فتحمل في طياتها الكثير والكثير من أمارات الوضع والكذب .
والحقيقة المفجعة : أن هذا الافتراء يطبع عشرات المرات بأسم

---

(145)

التقريب ، ولا أحد من أهل السنة ينتبه بهذا الأمر الخطير) (13) .
أقول :
أولا : إن كتاب (سر العالمين وكشف ما في الدارين) لأبي حامد محمد الغزالي ، صاحب إحياء العلوم . وقد نسبه . فيمن نسبه . إليه كبير الحفاظ والمؤرخين المعتمدين من أهل السنة ، ألا وهو شمس الدين الذهبي . المتوفى سنة 748 هـ . في كتابه المعروف (ميزان الاعتدال) واعتمد عليه ونقل منه ، فلاحظ الكتاب المذكور (14) .
وعلى هذا الأساس نسبته الشيعة إليه ، فلماذا الافتراء ؟ ! ولماذا الانكار من هؤلاء الطلبة الأصاغر المتأخرين لما يقر به أكابر أئمتهم المعتمدين ؟ !
وثانيا : إن هذا الذي يعترف به . متفجعا . من أقوى أدلة صحة المراجعات ، واعتبار ما تحتويه من استدلالات ، وإلا فعلماء قومه مقصرون أمام الله والرسول ومشايخ الصحابة المقتدى بهم في مذهبهم ! رغم طبعها عشرات المرات كما ذكره ، ورغم أنها تدعو إلى المناظرة بصدر رحب . . . كما ذكر السيد رحمه الله .

---

(13) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة 2 / 213 . 217 للدكتور ناصر بن عبد الله الغفاري ، وهو رسالة لنيل درجة الماجستير ، أجيزت بتقدير ممتاز ! نشر : (دار طيبة في الرياض سنة 1413 هـ في جزءين كبيرين .

---

(14) ميزان الاعتدال ، ترجمة الحسن بن الصباح 1 / 500 .

وممن نسب الكتاب إلى الغزالي : الحافظ الواعظ سبط ابن الجوزي الحنفي . المتوفى سنة 581 هـ .

صاحب التاريخ الشهير (مرآة الزمان) وغيره من المصنفات ، وله : (تذكرة خواص الأمة) الذي أورد فيه بعض ما يتعلق بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، بأسانيده إلى النبي عليه وآله الصلاة والسلام ، ولأجله رموه بالترفض مع الثناء عليه ووصفه بالحفظ والفقه كما لا يخفى على من لاحظ ترجمته في (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) و (الفوائد البهية في طبقات الحنفية) وغيرهما .

---

(146)

وثالثا : ما ذكره بعنوان (وبعبارة أدق . . .) بكذبه قول زميله القائل : (قد أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم) وقول الآخر : (يسعى جادا للدخول إلى كل بيت . . .) على حد تعبيرهما .

ورابعا : المراجعات ليس موضوعة ، كما مر وسيأتي .

وخامسا : إن الأمارات التي ذكرها ، تعود الثلاثة الأولى منها إلى مطلب واحد سنجيب عنه في الجواب عن السؤال عن الكوارث التي منعت طبع الكتاب وضيعت نسخته . والرابعة يظهر بطلانها من خلال ما سنوضحه حول نصوص الكتاب .

السبب في تأخير طبع الكتاب :

ثم إنه قد اعترض على كلام السيد في المقدمة بأنه :

(ماذا يعني الموسوي بالحوادث والكوارث التي أخرت طبع هذه المراجعات أكثر من ربع قرن من الزمن ؟ إنه سؤال لا جواب عليه ، لأن الموسوي لم يقدم لنا حادثة أو كارثة واحدة من هذه الحوادث والكوارث ، وإذا عدنا إلى كتب التاريخ التي أرخت لهذه الحقبة من الزمن التي تمت فيها هذه المراجعات المزعومة نقلب صفحاتها فلا نجد فيها ما يمنع من نشرها) .

أقول :

وهذا جهل أو تجاهل . لقد أشرنا من قبل إلى أن السيد . رحمه الله . كان في طليعة الشخصيات الإسلامية التي قاومت الاحتلال الفرنسي للبنان ، فقد قاد شعبه في مواجهة الاحتلال ، واستخدام كافة الأساليب لها ، ووقف بصرامة يطالب خروج الفرنسيين من بلاده ، ويدعو إلى الوحدة السورية المستقلة ، فأوعز المحتلون إلى عملائهم بالتخلص من هذا القائد ، واستغلوا عميلا عربيا يدعى : (ابن الحلاج جبران) من أهالي مدينة صور ، واقتحموا دار السيد ،

---

(147)

وشهر العميل مسدسه في وجه السيد ، فركله برجله فوقع على ظهره وسقط المسدس من يده ، وتعالت الأصوات وصيحات النساء ، ففر الفرنسيون من الدار ، وتوافدت الجموع إليها من كل جانب تشتاط غضبا فأمرهم السيد القائد بالهدوء .

قال رحمه الله في كلام له :

(وكان من ذلك أن عزم الفرنسيون ، وعزمت ذيولهم ، أن يتخلصوا مني عن طريق الاغتيال ، لتنهار هذه الجبهة إذا خلوت من الميدان ، وفي ضحى يوم الثلاثاء 12 ربيع الثاني سنة 1337 هـ ، الموافق 14 كانون الثاني سنة 1919 م ، والدار خالية من الرجال ، أقبل فتى من رجال الأمن العام الذين أملى لهم الفرنسيون أن يشتطوا على المسلمين والأحرار من أهل الدين ، وأقبل معه رجلان من الجند الفرنسي ، وكانوا جميعا مسلحين ، فاقتحموا الباب ، ثم أحكموا أرتاجها ، ودنا الفتى العربي ابن الحلاج شاهرا مسدسه ، وهو يطلب أن أعطيه التفويض الذي كنا أخذناه من وجوه البلاد وثائق تخول الملك فيصل أن يتكلم باسمنا في عصبة الأمم .

وحين أصبح على خطوة مني ركلته برجلي ألقته على ظهره فسقط المسدس من يده ، وأتبعت الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه ، وعلت صيحة نسائنا في الدار ، فملئت الطريق خلف الطريق خلف الباب ، فإذا الرهبة تتولى هزيمة الجنديين وصاحبهما مخفقين ، وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم . . .) (15) .

ثم إن السيد دعا إلى مؤتمر للتحاور مع رجالات السياسة والفكر ، لاتخاذ القرارات المناسبة للاستمرار بالمواجهة والسيطرة على الموقف حتى الوصول إلى الهدف ، فعقد المؤتمر في منطقة (الحجير) ومثل المؤتمرين في وفد إلى

---

(15) بغية الراغبين 2 / 150 .

سوريا للاجتماع مع الملك فيصل ، حتى إذا رجع وثب الفرنسيون بجيش جرار إلى جبل عامل توجه نحو قرية (شحور) لإلقاء القبض على السيد وقتله ، . . .

قال رحمه الله :

(ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدرت بألف فارس مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات ، زحفت بقيادة الكولونيل (دنجير) إلى (شحور) وما كاد الفجر يتضوأ بأضوائه الندية حتى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي (الطور) و (سلطان) المشرفين على القرية ، وهبط الجيش يتدفق بين كروم التين ، ويلتف حول القرية ، في رهبة أوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى في مستهل شهر رمضان المبارك سنة 1338 ، وكنت أهوم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر ، وكانت وصيفتنا (السعيدة) تتهيأ لصلاتها ، فأشرفت على مدخل القرية . وهي تتبين الصبح . فراعها أن ترى أن آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في مثل هذا البكور ، فأجفلت مذعورة ، ورجعت توقظني من نومي .

نهضت مسرعا إلى أرديتي ، وانسللت أتخطى الأزقة والمضايق ، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون ، وتركتهم يتظننون ، وانسحبت أهبط الوادي إلى غار على شاطئ الليطاني ، كان لجأ إليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار .

أما الجند فطفق يسأل عني ، واستوقف الصغار من أفراخي مع عمهم السيد محمد وخالهم السيد حسن ، حتى يستنطقهم والسيف مصلت فوق رؤوسهم ، ولكنهم أجمعوا على أني في دمشق ، ولما استيأسوا من العثور على تفرقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون ، ولم يغادروا (شحورا) قبل أن يحرقوا الدار . . .

فحكم علي بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك . وقد احتلوا دارنا في صور بعد أن صيح نهبا في حجراتها ، فعظمت المصيبة وجلت الرزية بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيمة ، وفيها من نفائس الكتب المخطوطة

---

(149)

ما لا يكاد يوجد في غيرها . وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي وأشرف أوقاتي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون) (16) .

ثم إنه شرد به . طاب ثراه . مع أهل وذويه إلى دمشق ، فبقي بها مدة وانتقل منها إلى فلسطين ، ومنها إلى مصر ، وهو في جميع هذه الأحوال متنكر وراء كوفية وعقال على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم ، حتى إذا قصد الهجرة إلى العراق أرسل إليه بأمان وطلب منه العدة إلى وطنه ، وكان العودة يوم الجمة 18 شوال سنة 1339 هـ .

والخلاصة : إنه لما يئست قوات الاحتلال من القبض عليه ، عادت فسلطت النار على داره في (شحور) فتركتها هشيما تذروه الرياح ، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في (صور) بعد أن أباحتها للأيدي الأثيمة تعيث فيها سلبا ونهبا ، حتى لم تترك فيها غاليا ولا رخيصا ، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبته العامر بكل ما فيها من نفائس الكتب وأعلاقها ، ومنها مؤلفاته الكثيرة القيمة التي كانت خطية في ذلك الوقت ، والمكاتيب والمراجعات .

فهذا موجز تلك الحوادث والكوارث ، كما في مقدمته (المراجعات) وغيرها من المؤلفات ، وفي كتاب (الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحا ومفكرا وأديبا) وغيره مما كتب بترجمة السيد ، وإن شيءت التفصيل فراجع (البغية) بقلمه الشريف ، فقد ذكر فيها جميع تلك الكوارث والحوادث بما فيها من خصوصيات وجزئيات . . . وإليها أشار . رحمه الله . في مقدمة (المراجعات) ثم صرح بأن الصحف التي ينشرها الآن كلها بلفظه وخطه . . .

لكن البعض لا يصدقون السيد . الصادق المصدق . فيما يقول أو لا يرون ما لاقاه وقاساه . مع شعبه . كوارث ! أو يريدون إنكار تلك الجهود ، أو استنكار ذلك الجهاد ضد الاستعمار ! فيذكرون للتأخير سببا من عندهم ، بوحي من

---

(16) بغية الراغبين 2 / 163 .

---

(150)

ظنونهم السيئة الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة الكاسدة ، فيقول قائل منهم :

(والذي دفع الموسوي إلى تأخير نشر وطباعة (المراجعات) إنما هو حاجة في نفسه ، إذ أن الفترة التي كانت فيها المراجعات ، والتي اعتبرها فترة غير ملائمة لمثل هذا الأمر ، إنما تعني أواخر الخلافة العثمانية التي مهما قيل فيها فإنها تظل خلافة تدين بالإسلام وتدفع عنه أعداءه وخصومه ، وتناهض كل الفرق الضالة التي اتخذت من الإسلام ستارا لضرب الإسلام والكيد للمسلمين كالرافضة وغيرهم ، والموسوي خشي على نفسه من نشر هذه المراجعات في ظل هذه الخلافة ، لما فيها من مخالفة للكتاب والسنة وعقيدة الأمة ، الأمر الذي قد لا تسمح الخلافة العثمانية بنشره ، لذا فإنه كان ينتظر فرصة مناسبة ومؤاتية لنشره هذه الأباطيل . . .

(9/11)

والأمر الثاني الذي دفعه إلى تأخير نشر مراجعاته : أنها مراجعات لا أصل لها ، فلا بد له من تأخيرها ، إذ لو نشرها في الوقت الذي تمت فيه هذه المراجعات لتصدى إلى تكذيبه العديد من العلماء ، لا سيما شيخ الأزهر الذي كذب عليه وقوله ما لم يقل ، فلما مات شيخ الأزهر ومات بعض أقرانه ، ونسي الأحياء منهم أمر هذه المراجعات ، وما كان فيها من وقائع وتفصيلات ، ولما اطمأن الموسوي لهذا كله سارع عندئذ لنشر أباطيله) .

أقول :

لقد ذكر أمرين هما السبب . بزعمه . في تأخير نشر (المراجعات) :

أما الأول : فلا يتفوه به عاقل ، إذ الخلافة العثمانية كانت في تلك الأيام على وشك الانهيار والاضمحلال ، ولم تعد قادرة على حفظ كيانها ، على أنه كان بالإمكان طبع الكتاب . لولا الحوادث والكوارث . في غير بلاد الخلافة العثمانية . . .

وعلى الجملة ، فهذا الأمر مما لا يصغى إليه ، وتضحك الثكلى به ،

---

(151)

ولعله لذا لم نجده عند غير هذا المتقول .

وأما الأمر الثاني : فقد أشار إليه غيره أيضا ، وهو مردود بما ذكرناه في بيان واقع الحال .

على أنا نسأل هؤلاء عن السبب للحقيقة المفجعة ، وهي عدم رد أحد من علماء السنة على هذه المراجعات ، لا سيما ممن نشأ في ظل الخلافة العثمانية التي كانت تناهض كل الفرق الضالة على حد زعمه ؟ !

وعن السبب لنشر مثل هذه التشكيكات والتكذيبات ، في مثل هذه الظروف وبعد نحو الخمسين عاما على طبع المراجعات ؟ !

وعن السبب في تأخير طبع رد أحدهم على كتاب (أبو هريرة) مدة **18** سنة ، أي بعد وفاة السيد بسنين (**17**) ؟ ! ثم تبعه غيره ، يأخذ اللاحق من السابق ، فيكررون المكرر (**18**) .

السبيل لتوحيد المسلمين :

وهنا يقول القائل : (إن ما يسعى إليه الموسوي إنما هو ضرب من المستحيل ، إذ أنه ، لو افترضنا الصدق فيها ، فهي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل وبين الإسلام والكفر !

إن السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين ولم شتاتهم ، وإزالة الفرقة بينهم إنما يكون بالعودة إلى الكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح لهما ، كما أوضح ذلك الحق سبحانه وتعالى حيث قال : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وكنا أوضح النبي

(**17**) كتاب : أبو هريرة راوية الإسلام ، لمحمد عجاج الخطيب ، ألفه ردا على كتاب : (أبو هريرة) للسيد شرف الدين ، فرد عليه الشيخ عبد الله السبيتي بكتاب : (أبو هريرة في التيار) .

(**18**) لاحظ : دفاع عن أبي هريرة ، لعبد المنعم صالح العلي ، ثم : أبو هريرة وأقلام الحاقدين ، لعبد الرحمن عبد الله الزرعي ، وهكذا . . .

صلى الله عليه [وآله] وسلم حيث قال : تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي . (أخرجه الإمام مالك والترمذي وأحمد) . فهل يستجيب الرافضة لله وللرسول ؟ هيهات هيهات) .

ويقول آخر : (مفهوم التقريب عند هذا الموسوي هو أخذ المسلمين بعقيدة الروافض ، وهو في سبيل ذلك يضع وقائع وهمية وحوادث لا حقيقة لها ، ويزعم أنها وقائع تقارب بين السنة والشيعة لتصفية الخلاف ، ولكن لم يكن لهذه المؤامرات من أثر إلا عند طائفته) (19) .

أقول :

إن مفهوم التقريب لدى السيد وطائفته هو التعريف بالشيعة ، وبيان عقيدتها في مسألة الإمامة . التي هي أعظم خلاف بين الأمة . وذكر شواهدها وأدلتها في كتب السنة ، والبحث والتحقيق حولها عن طريق الجدل الحق ، ثم الأخذ بما اتفق الكل على روايته ونقله في الكتب المشهورة بين المسلمين ، وعلى هذا الأساس استند السيد في (المراجعات) وغيرها من كتبه إلى ما جاء في كتب السنة من الأحاديث من طرقهم ، ومن هذا المنطلق يمكن التوقيف بين الطائفتين ، . . . ولا استحالة . . . وبذلك يكون قد تحقق ما أمر سبحانه وتعالى بقوله : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول . . .) وإلا فإن كل طائفة ترى الحق فيما ترويه وتعتقده ، وتحكم ببطلان ما تذهب إليه الطائفة الأخرى .

فالمراد من (الرد إلى الرسول) في الآية الكريمة ، ومن (السنة) في الأحاديث الآمرة بالرجوع إليها هو : الأخذ بما ثبت صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ما اتفق الكل على روايته بأسانيدهم .

وأما خصوص : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله

---

(19) مسألة التقريب 2 / 217 .

وسنتي) فليس بحديث صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونسبة روايته إلى أحمد والترمذي كذب ، إذ هو ليس من أحاديث مسند أحمد وجامع الترمذي قطعا .

نعم ، رواه مالك في (الموطأ) لكن بسند منقطع ! كما نص على ذلك شراحه ، كالجلال السيوطي في (تنوير الحوالك) وقد أوصله ابن عبد البر القرطبي ، لكن بسند ضعيف ! وقد حققنا حال هذا الحديث المزعوم في رسالة مفردة مطبوعة (20) .

والخلاصة : إن السيد يدعو إلى الوئام بين المسلمين عن طريق البحث الصحيح والجدل الحق ، في الحديث والسيرة والتاريخ وغير ذلك ، لا عن طريق تناسي الماضي ، لأن هذا لو أفاد في برهة من الزمن فلا يكاد يجدي على المدى البعيد ، ولا يعطي النتيجة المطلوبة ، بل إن معنى ذلك بقاء الانطباعات عن القضايا في النفوس والأذهان ، وهذا ما يؤدي . بطبيعة الحال . إلى مضاعفات لا تكاد تقبل العلاج من أي طرف كان .

وقد عرفت السيد إلى من أهدى كتابه ! وأي شيء ترجى منه !

هذا تمام الكلام حول المكابرات ، المتعلقة بمقدمة المراجعات .

للبحث صلة . . . .

---

(20) مجلة (تراثنا) العدد 29 ، شوال 1412 هـ ، ص 171 . 187 .

المصدر :

فهرس الفهارس . للكتاني . : 896 .

(3)

قال أبو العباس الدقون ، في إجازته لابن أبي جمعة محمد شقرون الوهراني الفاسي (ت 929) :

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي فحدث بما استدعيت فيه إجازة ... أبي جمعة المغراوي كل الذي روى وسلم على من سالم النفس والهوى

المصدر :

فهرس الفهارس : 1065 .

(4)

إجازة الشريف محمد بن ناصر الحازمي للسيد داود حجر الزبيدي :

سلام على داود من منح التقوى فأما رواياتي فخذ عن أئمة فأروي عن المولى الوجيه وشيخه هم النخل والبصري عجيميهم معا وقاضي قضاة العصر إتحافه روت وقطب بني الدنيا سنوسي شموسه نعم ، ثم أروي كل حصر لشارد ... سمي النبي الأواب أعطي ما يهوى هم القوم أهل الصدق عن مثلهم يروى أبوه وعن

جد وأشياخه تلوا وكل له ثبت به الضمن والفحوى رجال وإني فيه ذو السند الأقوى رويت وعنه كل علم له أهوى لشيخي وأستاذي لها الكل لا يغوى

---

(283)

كذا الكزبري ثم الأمير ابن هاشم ثلاثة أثبات لقاطن كلها وكل الذي أروي أجزت لسيدي كذاك ابنه الحبر التقي فحبذا وكم منحوا فضلا وخيرا ونية فلم أر ذا فضل أحق إفادة أجزتهما . أيضا . المسلسل أولا وأوصيهما بالاستقامة والتقى ... ثلاثتهم أثباتهم ما لها محوى عن العمراني وابنه غير ما دعوى بدرس وتدريس مع الكتب والفتوى أئمة بر جانبوا الكبر والأهوا ولم يعلقوا الدنيا التي أصلها بلوى كمثلهما لم يسلكا مسلك الدعوى وعد ، وحب صادق السر والنجوى وبذل الدعا حتى نؤوب إلى المأوى

قال بفمه ، وأمر برقمه : الحقير خادم العلم وأهله ، محمد بن ناصر بن الحسين ، غفر الله لهم ورحمهم وتجاوز عنهم ، آمين ، حامدا مصليا ، محسبلا ، محوقلا (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

المصدر :

الدر الفريد . للواسعي . : 4 . 56 .

* * *

---

(284)

ومن روي الباء

(5)

مما كتبه الحسين بن جعفر بن عبد الصمد ابن المتوكل على الله العباسي ، المقري الحنبلي (ولد سنة 477 هـ) في بعض الإجازات :

أجزت للسادة الأخيار ما سألوا مهما أحبوه من شعر ومن خبر وليحذروا السهو التصحيف من غلط ... فليرووا عني بلا بخس ولا كذب ومن جميع سماعاتي من الكتب ويسلكوا سنة الحفاظ في الأدب

المصدر :

الذيل على طبقات الحنابلة . لابن رجب . 1 / 233 . 243 .

* * *

---

(285)

ومن روي التاء

(6)

قال الكتاني :

أقول . متمثلا . :

بالله ، يا آخذا عني إجازة ما سل لي خواتم أعمال تيسر لي ... أروي من الكتب في شتى الإجازات إجازة الحشر في يوم المجازات

المصدر :

فهرس الفهارس : 1169 .

* * *

---

(286)

ومن روي الثاء

(7)

قال السيد محمد بن محمد بن زيد ، أبو الحسن العلوي ، أبو المعالي الحسني البغدادي ، نزيل سمرقند : أخلائي أجزت لكم سماعي إذا ما شيءتم فارووه عني أجزت لكل ذي عقل ودين على شرط الإجازة : فاحفظوه فإني عن وقوع السهو فيه عليكم بالأناة لكل خطب وأوصيكم بتقوى الله كيما ... وما صنفت من كتب الحديث كبيركم وذو السن الحديث يريد العلم بالطلب الحثيث عن التصحيف والغلط الخبيث برئ معلن كالمستغيث فقل وقوع سهو من مريث تنالوا الفوز من رب مغيث

المصدر :

المنتخب من كتاب السياق : 84 ط .

* * *

---

(287)

ومن روي الحاء المهملة

(8)

وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني قصيدة ، كتبها في آخر إجازة الفقيه أحمد بن يحيى الشامي :

فارو عني يا صفي الدين ما من علوم المصطفى خير الورى من أتانا بالهدى من ربنا فالهدى فيما أتى عن أحمد فاتبع وجها صحيحا وجهه دع متونا وشروحا جلها خل أقوال رجال أصبحت وتمسك يا ابن يحيى بالتقى واخلص النية فيما تبتغي واصطبر للحق فالأعدا له واترك الدنيا ولا تحفل بها واطلب الفتح من الله فما سله من إفضاله ما رمته واقر في (فاطر) : (ما يفتح من) وادع يا أحمد لي في مدتي ... أنا أرويه على الوجه الصحيح خاتم الرسل وذي القول الرجيح وأرانا الحق بالنص الصريح خلنا عن قول ذي قول جريح واطرح ما جاء بالوجه القبيح عند ذي التحقيق أمثال القروح عندنا بين قتيل وطريح إن ترد تظفر بالأمر الربيح إنما النية للفعل كروح أمم تدعو إلى غير الصحيح إنما الراحة في زهد المسيح غيره يأتي بأنواع الفتوح كل حين في غبوق وصبوح وتأمل قصتي هود ونوح وإذا صرت إلى بطن الضريح

---

(288)

قد نصحنا كل من نعرفه وأبذل العلم ولا تبخل به يلجم الباخل بالعلم غدا وصلاة الله تغشى أحمدا ... قل : جزاه الله خيرا من نصيح ما الثنا والأجر إلا للسميح بلجام النار أقبح بالشحيح وذويه ما سرت ريح بروح

المصدر :

ديوان الأمير الصنعاني : 91 . 92 .

* * *

---

(289)

ومن روي الدال المهملة

(9)

قال الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد القاضي أبو محمد الرامهرمزي (ت : 360) : كتب إلي بعض وزراء الملوك يسألني إجازة كتاب ألفته لابن له ، فكتبت الكتاب له ، ووقعت عليه :

يا أبا القاسم الكريم المحيا وتولاك بالكفاية والعز إرو عني هذا الكتاب فقد هذ، وشكلت الحروف منه فقامت جاء مستخلصا لسبك المعاني نظم شعر ونثر قول يروقا لا يعنيك بالهجاء ولا يش وكأن السطور منه سموط فتحفظ ما فيه من ملح الآ وأحذر اللحن في الرواية والتح والقياس الجلي يوجدك الأخ ... زانك الله بالتقى والرشاد وطول البقاء والإسعاد ت ما قد حواه من مستفاد لك بالشكل في نظام السداد كالدنانير عن يد النقاد ن كنور الرياض غب العهاد كل في الخط بين صاد وضاد بل عقود يلحن في أجياد داب وأضبط طرائق الإسناد ريف فيها والكسر في الانشاد بار في نشره على الأفراد

المصدر :

المحدث الفاصل بن الراوي والواعي ، : 458 الفقرة 545 ، ورواه الخطيب عن الرامهرمزي في الكفاية في علوم الدراية : 502 . 503 .

---

(290)

(10)

وقال عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسني العلوي التريمي المصري (ت 1194) في إجازته لبني الأهدل ، بعد تسميته لبعض شيوخه :

وعن مشايخ لا تحصى لراقمها إلا إذا طال لي وقتي وطاوعني ... بل لست أحصيهم من كثرة العدد أكاد أذكرهم في مجمل السندا

لمصدر :

فهرس الفهارس : 740 .

(11)

إجازة جمال الدين ابن نباتة لأحد طلابه المستجيزين منه شعرا :

سألت إجازتنا لهم ولمثلهم ونعم ، أجزت لهم راوية ما اقتضوا ومصنفات لست عنها راضيا أهملت منها ما أردت وبعضها خذها إجازة طائع لك منشد وأسبقه بالقدر البسيط فإن لي قلمي ولفظي معرضان كلاهما ... يروي الإجازة سيد عن سيد بالشرط من لفظ أجزت ومسند فمسود منها وغير مسود ناديت : لا تهلك أسى وتجلد للمدح فاعجب للمجيز المنشد هما مديدا إن أقل ، قال : اقصد لا من لساني إن نطقت ولا يدي

المصدر :

خزانة الأدب . للحموي . : 353 .

---

(291)

(12)

أجاز محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت 833) لابن حجر العسقلاني ولولده ، وكتب في ورقة الاستدعاء ما نصه :

(4/12)

إني أجزت لهم رواية كل ما وكذا الصحاح الخمس ثم معاجم وجميع نظم لي ونثر والذي ... أرويه من متن الحديث المسند للمشيخات وكل جزء مفرد ألفت كالنشر الذكي ومنجد

المصدر :

فهرس الفهارس : 305 ، وقال : ذكر ذلك ابن حجر في فهرسته .

(13)

إجازة الأمير الصنعاني لفخر الدين عبد الله بن أحمد بن إسحاق في شهر ربيع الأول سنة 1182 :

أجزتك يا بن ودي ما تريد أجزتك إذ طلبت وأنت بخير أجزت الأمهات وهن ست لأن بناء أحكام البرايا أضاع الخمسة الأحكام من لم فيا لله كم علم حوته ولي فيها سماعات على من ... بما فيه تفيد وتستفيد يحق لمثلنا فيه الورود إليها كل ذي علم يعود بها دارت وهن لها عمود يحب الست وهو بها عميد فليس على معارفها مزيد تزين من وجودهم الوجود

---

(292)

وغير الست مما قد أجزنا وكل مؤلف لي يا حبيبي ولا زم سنة المختار درسا ولا تشغل بغير العلم وقتا فأهل العلم أملاك البرايا وصلني بالدعا في كل حين وعذرا في الذي مني تراه فذا جهد المقل فلا تلمني أمن بعد الثمانين اللواتي أراها صيرت فكري بليدا فأسأله الرضا في كل حين وينزلنا به جنات عدن وصل على النبي والآل طرا ... أجزتك أيها الفخر الفريد أجزتك فارو منها ما تريد وتدريسا وإن رغم الحسود وهل بسواه يشتغل السعيد ؟ ! وكل سواهم لهم جنود خصوصا إذ منازلنا اللحود فليس كما تريد ولا أريد وعفوا أيها المولى المفيد قطعت يكون لي عقد فريد وما هو قبل مقدمها بليد وتوفيقا إلى التقوى يقود تكون بها الإقامة والخلود فهم شمس أنير بها الوجود

المصدر :

ديوان الأمير الصنعاني : 145 . 146 .

(14)

إجازة الأمير الصنعاني لضياء الدين سعيد بن حسن العنسي ، وهي خاصة بمؤلفات الأمير :

وافى نظامك يا سعيد ... فكأنه عقد فريد

قبلصلة

من ذخائر التراث

---

(374)

الرد على

الوهابية

تأليف

العلامة المجاهد آية الله

الشيخ محمد جواد البلاغي

(1282 . 1352 هـ)

تحقيق

السيد محمد علي الحكيم

---

(377)

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، لا سيما بقية الله في الأرضين ، عجل الله تعالى فرجه الشريف .

وبعد :

فمنذ ظهور الفرقة الضالة المضلة (الوهابية) وحتى أيامنا هذه انبرى علماء الإسلام على مختلف مذاهبهم ، فكتبوا في ردهم ودحض أباطيلهم وشبهاتهم كتبا ورسائل كثيرة (1) ، كان فيها الرد الحاسم القاطع في وجه الوهابية ، فانحصر وجودهم في مهد ظهورهم أرض الحجاز .

---

(1) أنظر مقال : (معجم ما ألفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الدعوة الوهابية) للسيد عبد الله محمد علي ، المنشور في مجلة (تراثنا) العدد 17 ، شوال 1409 هـ ، ص 146 . 178 ، فقد أحصى فيه أكثر من 200 كتاب ورسالة في الرد على الوهابية ، لعلماء المذاهب الإسلامية المختلفة .

وما استمر وجود الوهابية في أرض الحجاز إلا بقوة الحديد والنار ، إذ لم يستطيعوا أن يقارعوا الآخرين بالحجة والبرهان .

إلا أن نشاطها الهدام ونفث سمومها وأباطيلها وشبهاتها لا يزال مستمرا ، مما اقتضى أن نقوم بإحياء رسالة في الرد عليهم ، لفطحل من فطاحل علماء الإمامية الماضين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ألا وهو : العلامة المجاهد ، آية الله العظمى ، الشيخ محمد جواد البلاغي ، قدس سره الشريف .

ترجمة المؤلف (2)

نسبه :

هو الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم بن حسين بن عباس بن حسن (3) بن عباس بن محمد علي بن محمد البلاغي النجفي الربعي (4) .

مولده :

ولد في النجف الأشرف سنة 1282 هـ في بيت من أقدم بيوتاتها وأعرقها في العلم والفضل والأدب ، والمشهورة بالتقوى والصلاح والسداد ، فقد أنجبت

---

(2) اقتبست هذه الترجمة . بتصرف . ملفقة من بين عدة مصادر ، أهمها :

أعيان الشيعة 3 / 255 . 262 ، شعراء الغري 2 / 436 . 458 ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر 1 /

323 . 326 ، الكنى والألقاب 2 / 83 و 84 ، مقدمة الهدى إلى دين المصطفى 1 / 6 . 20 ، معارف الرجال 1 / 196 . 200 ، ريحانة الأدب 1 / 179 ، ماضي النجف وحاضرها 2 / 61 . 66 ، ديوان السيد رضا الهندي : 125 و 127 ، مجلة رسالة القرآن / العدد العاشر / 1413 هـ : 71 . 104 .

(3) صاحب كتاب (تنقيح المقال) في الأصول والرجال : [الذريعة 4 / 466 رقم 2069]

(4) نسبة إلى قبيلة ربيعة المشهورة .

---

(379)

هذه الأسرة . آل البلاغي . عدة من رجال العلم والدين والأدب وإن اختلفت مراتبهم .

نشأته :

نشأ حيث ولد ، وأخذ المقدمات عن أعلامها الأفاضل ، ثم سافر إلى الكاظمية سنة 1306 هـ وتزوج هناك من ابنة السيد موسى الجزائري الكاظمي .

عاد إلى النجف الأشرف سنة 1312 هـ فحضر على الشيخ محمد طه نجف والشيخ آقا رضا الهمداني والشيخ الآخوند محمد كاظم الخراساني والسيد محمد الهندي .

هاجر إلى سامراء سنة 1326 هـ فحضر على الميرزا محمد تقي الشيرازي . زعم الثورة العراقية . عشر سنين ، وألف هناك عدة كتب ، وغادرها . عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي . إلى الكاظمية فمكث بها سنتين مؤازرا للعلماء في الدعاية للثورة ومحرضا لهم على طلب الاستقلال .

ثم عاد إلى النجف الأشرف وواصل نشاطه في التأليف ، فكان من أولئك الندرة الأفذاذ الذين أوقفوا حياتهم وكرسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة ، فلم ير إلا وهو يجيب عن سؤال ، أو يحرر رسالة يكشف فيها ما التبس على المرسل من شك ، أو يكتب في أحد مؤلفاته .

وقد وقف بوجه النصارى وأمام تيار الغرب الجارف ، فمثل لهم سمو الإسلام على جميع الملل والأديان حتى أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصارى وفضلائها .

كما تصدى للفرق المنحرفة الهدامة الأخرى . كالبابية والقاديانية والوهابية والإلحادية . . وغيرها . فكتب في ردهم ودحض شبهاتهم ، وفضح نوافه مبانيهم ومعائب أفكارهم عدة كتب ورسائل قيمة .

وقد كان من خلوص النية وإخلاص العمل بمكان حتى أن كان لا يرضى

---

(380)

أن يوضع اسمه على تأليفه عند طبعها ، وكان يقول : (إني لا أقصد إلا الدفاع عن الحق ، لا فرق عندي بين أن يكون باسمي أو اسم غيري) .

حتى أن يوسف إليان سركيس في كتابه : (معجم المطبوعات) ذكر كتاب (الهدى إلى دين المصطفى) لشيخنا البلاغي . رضوان الله عليه . في آخر الجزء الثاني ضمن الكتب المجهولة المؤلف (5) ، وربما كان . قدس سره . يذيل بعضها بأسماء مستعارة ك : كاتب الهدى النجفي ، وعبد الله العربي ، وغيرها .

ومع كل ذلك أصبح أسمه نارا على علم ، وبلغت شهرت أقاصي البلاد ، وذلك لما عالجه من العضلات العلمية والمناقشات الدينية ، حتى أن أعلام أوربا كانوا يفزعون إليه في المسائل العويصة ، كما ترجمت بعض مؤلفاته إلى الإنكليزية للاستفادة من مضامينها الراقية .

كان يجيد اللغات العبرانية والفارسية والانكليزية . بعد لغته الأم العربية . ولذلك برع في الرد على أهل الكتاب ودحض أباطيلهم وكشف خفايا دسائسهم .

كما كان متواضعا للغاية ، يقضي حاجاته بنفسه ، ويختلف إلى الأسواق بشخصه لابتياع ما يلزم أهله ، وكان يحمله إليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له : (رب العيال أولى بعياله) .

وكان يقيم صلاة الجماعة في المسجد القريب من داره ، فيأتم به أفاضل الناس وخيارهم ، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرس كتابه (آلاء الرحمن) .

كان لين العريكة ، خفيف الروح ، منبسط الكف ، لا يمزح ولا يحب أن يمزح أحد أمامه ، تبدو عليه هيبة الأبرار وتقرأ على أساريره صفات أهل التقى والصلاح .

له في سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عقيدة

---

(5) معجم المطبوعات العربية والمعربة 2 / 2024 .

---

(381)

راسخة ، وحب ثابت ، فكم له أمام المناوئين للإمام الحسين عليه السلام من مواقف مشهودة ، ولولاه

لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية ، ولكنه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام .

فكان هذا العلامة البطل . على شيخوخته وضعفه وعجزه . يمشي حافيا أمام الحشد المتجمهر للعزاء ، قد حل أزاره ويضرب على صدره ، وخلفه اللطم والأعلام ، وأمامه الضرب بالطبل .

ومن آثاره الباقية :

إقامة المأتم في يوم عاشوراء في كربلاء ، فهو أول من أقامه هناك ، وعنه أخذ حتى توسع فيه ووصل إلى ما هو عليه اليوم .

وكذا تحريض علماء الدين وإثارة الرأي العام ضد البهائية في بغداد ، وإقامة الدعوى في المحاكم لمنع تصرفهم في الملك الذي استولوا عليه . في محلة الشيخ بشار في الكرخ . واتخذوه حظيرة لهم لإقامة شعائر الطاغوت ، وقضت المحاكم بنزعه منهم ، واتخذه . رضوان الله عليه . مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية في ذكرى الطف وشعائر أهل البيت عليهم السلام .

أقوال العلماء والأدباء فيه :

قال السيد محسن الأمين العاملي : (كان عالما فاضلا ، أديبا شاعرا ، حسن العشرة ، سخي النفس ، صرف عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف ، وصنف مدة تصانيف في الردود ، صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها ورغب في صحبة العامليين فصاحبناه ، وخالطناه حضرا وسفرا عدة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف فلم نر منه إلا كل خلق حسن وتقوى وعبادة وكل صفة تحمد ، وجرت بيننا وبينه بعد خروجنا من النجف مراسلات

---

(382)

ومحاورات شعرية ومكاتبات في مسائل علمية) (6) .

وقال الشيخ عباس القمي : بطل العلم الشيخ محمد الجواد . . . ولقد كان . رحمه الله تعالى . ضعيفا ناحل الجسم ، تفانت قواه في المجاهدات ، وكان في آخر أمره مكبا على تفسير القرآن المجيد بكل جهد أكيد) (7) .

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني : (كان أحد مفاخر العصر علما وعملا . . . وكان من أولئك الأفذاذ النادرين الذين أوقفوا حياتهم وكرسوا أوقاتهم لخدمة الدين الحنيف والحقيقة . . . فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن) (8) .

وقال الشيخ محمد حرز الدين : (عالم فقيه كاتب ، وأديب شاعر ، بحاثة أهل عصره ، خدم الشريعة المقدسة ، ودين الإسلام الحنيف ، بل خدم الإنسانية كاملة بقلمه ولسانه وكل قواه) (9) .

وقال الميرزا محمد علي التبريزي المدرس : (فقيه أصولي ، حكيم متكلم ، عالم جامع ، محدث بارع ، ركن ركين لعلماء الإمامية ، وحصن حصين للحوزة الإسلامية ، ومروج للعلوم القرآنية ، وكاشف الحقائق الدينية ، وحافظ للنواميس الشرعية ، ومن مفاخر الشيعة) (10) .

وقال الملا علي الواعظ الخياباني التبريزي : (هو العلم الفرد العلامة ، المجاهد ، آية الله ، وجه فلاسفة الشرق ، وصدر من صدور علماء الإسلام ، فقيه أصولي ، حكيم متكلم ، محدث محقق ، فيلسوف بارع ، وكتبه الدينية هي التي أبهجت الشرق وزلزلت الغرب وأقامت عمد الدين الحنيف ، فهو حامية

---

(6) أعيان الشيعة 4 / 255 .

(7) الكنى والألقاب 2 / 83 . 84 .

(8) نقباء البشر في القرن الرابع عشر 1 / 323 .

(9) معارف الرجال 1 / 196 .

(10) ريحانة الأدب 1 / 179 .

الإسلام ، وداعية القرن ، رجل البحث والتنقيب ، والبطل المناضل ، والشهم الحكيم) (11) .

وقال الشيخ جعفر النقدي : (عالم عيلم مهذب ، وفاضل كامل مذرب ، وآباؤه كلهم من أهل العلم) (12) .

وقال الأستاذ علي الخاقاني : (من أشهر مشاهير علماء عصره ، مؤلف كبير ، وشاعر مجيد . . . أغنتنا آثاره العلمية عن التنويه بعظمته وعلمه الجم وآرائه الجديدة المبتكرة ، فلقد سد شاغرا كبيرا في المكتبة

العربية الإسلامية بما أسداه من فضل فيما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلمية والمناقشات الدينية ، وتوضيح التوحيد ودعمه بالآراء الحكيمة قبل الثالوث الذي هده بآثاره وقلمه السيال . . . كان عظيما في جميع سيرته ، فقد ترفع عن درن المادة ، وتردى بالمثل العالية التي أوصلته في الحياة . ولا شك بعد الممات . أرفع الدرجات . . . وقد حضرت (13) مع من حضر برهة من الزمن فإذا به بحر خضم لا ساحل له ، يستوعب الخاطرة ، ويحوم حول الهدف ، ويصور الموضوع تصويرا قويا . . . كانت حياته مليئة بالمفاخر والخدمات الصادقة) (14) .

وقال الشيخ جعفر باقر آل محبوبة : (ركن الشيعة وعمادها ، وعز الشريعة وسنادها ، صاحب القلم الذي سبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول ، كم من صحيفة حبرها ، وألوكة حررها ، وهو بما حبر فضح الحاخام والشماس ، وبما حرر ملك رق الرهبان والأقساس ، كان مجاهدا بقلمه طيلة عمره ، وقد أوقف حياته في الذب عن الدين ، ودحض شبه الماديين والطبيعيين ، فهو جنة حصينة ، ودرع رصينة ، له بقلمه مواقف فلت جيوش

---

(11) علماء معاصرين : 162 . 163 .

(12) شعراء الغري 2 / 437 .

(13) أي : درسه في تفسير القرآن الكريم من كتابه (آلاء الرحمن) .

(14) شعراء الغري 2 / 437 . 439 .

الإلحاد ، وشتت جيوش العادين على الإسلام والطاعنين فيه . . . حضرت بعض دروسه واستفدت منه مدة ، كان نحيف البدن ، واهي القوى ، يتكلف الكلام ، ويعجز في أكثر الأحيان عن البيان ، فهو بقلمه سحبان الكتابة ، عنده أسهل من الخطابة) (15) .

وقال المحامي توفيق الفكيكي : (كان . رحمه الله تعالى . داعي دعاة الفضيلة ، ومؤسس المدرسة السيارة للهداية والارشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود ، فقد أفطمت جوانحه على معارف جمة ، ووسع صدره كنوزا من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية الغالية ، وقد نهل وعب من مشارع

المعرفة والحكمة الصافية حتى أصبح ملاذ الحائدين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجة البيضاء ، وخدعتهم ضلالات الدهريين والماديين . . .

ومن ملامحه ومخائله الدالة على كماله النفسي هي : فطرته السليمة ، وسلامة سلوكه الخلقي والاجتماعي ، وحدة ذكائه ، وقوة فطنته ، وعفة نفسه ، ورفعة تواضعه ، وصون لسانه عن الفضول ، ولين عريكته ، ورقة حاشيته ، وخفة روحه ، وأدبه الجم ، وعذوبة منطقه ، وفيض يده على عسره وشظف عيشه (16) . وقال عمر رضا كحالة : (فقيه ، متكلم ، أديب ، شاعر) (17) .

وقال خير الدين الزركلي : (باحث إمامي ، من علماء النجف في العراق ، ومن آل البلاغي ، وهم أسرة نجفية كبيرة ، له تصانيف . . . وكان يجيد الفارسية ، ويحسن الانجليزية ، وله مشاركة في حركة العراق الاستقلالية وثورة عام 1920 م) (18) .

---

(15) ماضي النجف وحاضرها 2 / 62 .

(16) مقدمة الهدى إلى دين المصطفى 1 / 7 .

(17) معجم المؤلفين 3 / 164 .

(18) الأعلام 6 / 74 .

فمن كانت هذه مآثره وصفاته وسجاياه فجدير بمتخصصينا أن يقوموا بدراسة هذه الشخصية الجليلة وآثارها القيمة ، فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن ، وهو نور من الأنوار التي يهتدي بها في ظلمات الشك والحيرة ، وهو بحق من مشاهير علماء الإمامية ، علامة جليل ، ومجاهد كبير ، ومؤلف مكثر خبير .

شعره :

كان . قدس سره . مع عظيم مكانته في العلم وتفقهه في الدين أديبا كبيرا وشاعرا مبدعا ، من فحول الشعراء ، له نظم رائق سلس متين ، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية ، والمشاعر الإنسانية ، والتأملات الروحية ، وأكثر شعره كان في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم ، وبقيته في تهنئة خليل ، أو رثاء عالم جليل ،

أو في حالة الحنين إلى الأخلاء يحتمه عليه واجب الوفاء ، أو في الدفاع عن رأي علمي ، أو شرح عقيدة أو فكرة فلسفية بطريقة المعارضة الشعرية .

فمما قال في قصيدة في ذكرى مولد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، قوله :

حي شعبان فهو شهر سعودي منه حيا (19) الصب المشوق ، شذا الميلاد بهجة المرتضى وقرة عين المـ رحمة الله غوثه في الورى شمـ وهوى خاطري وشائق نفسي فانجلت كربتي وأزهر روضي ... وعد وصلي فيه وليلة عيدي فيه وبهجة المولود مصطفى ، بل ذخيرة التوحيد سـ هداه وظله الممدود ومناها وعدتي وعديدي ونمت نبعتي وأورق عودي

---

(19) أصله : حياء ، وحذفت الهمزة للضرورة .

طلت فخرا يا ليلة النصف من شعـ ... بان بيض الأيام بالتسويد

وله من قصيدة في ذكرى مولد الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان :

شعبان كم نعمت عين الهدى فيه وأشرق الدين من أنوار ثالثه وارتاح بالسبط قلب المصطفى فرحا رآه خير وليد يستجار به قرت به عين خير الرسل ثم بكت إن تبتهج فاطم في يوم مولده أو ينتعش قلبها من نور طلعته فقلبها لم تطل فيه مسرته بشرى أبا حسن في يوم مولده ... لولا المحرم يأتي في دواهيه لولا تغشاه عاشور بداجيه لو لم يرعه بذكر الطف ناعيه وخير مستشهد في الدين يحميه فهل نهنيه فيه أم نعزيه فليلة الطف أمست من بواكيه فقد أديل بقاني الدمع جاريه حتى تنازع تبريح الجوى فيه ويوم أرعب قلب الموت ماضيه

وله من قصيدة في الإمام الحجة المنتظر عليه السلام . أيضا . قوله :

رويدكما أيها الباكيان فكم لنواه جرت عبرة جرت ولها قبل يوم الفراق فلا نهنه الوجد فيض الدموع وبان وأودعنا حسرة أطال نواه ومن نأيه نقضي الليالي انتظارا له نطيل الحنين بتذكاره ... فما أنتما أول الوالهينا تقل لها أدمع العالمينا ولم ترحل العيس بالمزمعينا وقد شطت الدار بالظاعنينا ومن لوعة البين داء دفينا رزينا بما يستخف الرزينا فيا حسرتا ، ونقضي السنينا ويا برحا أن نطيل الحنينا

---

(224)

نشره : هرتفج دارنبور ، 1883 م .

81 . تاريخ اليعقوبي .

نشره : هوتسما ، 1883 م .

82 . مختارات من : (رسائل إخوان الصفا) .

نشرها : ديترصي ، 1884 . 1886 م .

83 . المفضليات .

للمفضل الضبي .

نشرها : توربكه ، 1885 م ، الكراسة الأولى .

84 . المواعظ والاعتبار .

لأسامة بن منقذ .

نشره : هرتفج دارنبور ، 1886 م .

85 . الفتح القسي في الفتح القدسي .

لعماد الدين الأصفهاني .

نشره : السويدي لاندبرج ، 1888 م .

86 . مختارات من قصائد أسامة بن منقذ .

نشرها : هرتفج دارنبور ، 1889 . 1893 م .

* * * ... 87 . الثمرة المرضية من الرسائل الفارابية .

وهي مجموعة من رسائل الفارابي المهمة .

نشرها : ديترصي ، 1890 . 1892 م (مع دراسة عن الفلسفة العربية) .

88 . كتاب الاستدراك .

لأبي بكر الزبيدي .

نشره : جويدي ، 1890 م .

89 . كتاب الكامل .

للمبرد .

نشر المجلد الثاني عشر منه : دي خويه ، 1892 م ، لان وليم رايت كان قد نشر مجلداته السابقة لكنه توفي قبل أن يتمه .

90 . مجموعة مؤلفات ربي سعديا بن يوسف الفيومي .

(وهي مؤلفات سعديا العربية) .

نشرها : حوزيف دارنبور ، بالاشتراك مع ابنه ، 1893 . 1899 م ، 5 مج .

* * *

---

(225)

---

(226)

تحقيق التراث في أوروبا مطلع القرن العشرين

تراجع الاهتمام بتحقيق التراث الإسلامي في الغرب ، بعد مضي السنوات الأولى من القرن العشرين ، وتقلصت عملية نشره كثيرا عما كانت عليه في القرن السابق .

وبدا هذا الضمور بصورة واضحة فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وغياب دور الاستعمار الأوروبي القديم في العالم الإسلامي ، منذ ذلك التاريخ ، وإن غير الاستعمار أساليبه واعتمد أساليب جديدة في السيطرة عبر وكلائه .

وكانت حركة تحقيق ونشر التراث الإسلامي في الغرب ، قد تواصلت في الثلاثين سنة الأولى من القرن العشرين ، ولكنها بدأت بالضمور بعد ذلك تدريجا ، تبعا لتقلص نفوذ الاستعمار التقليدي في البلاد الإسلامية .

وفيما يلي قائمة بأبرز ما صدر محققا من الكتب العربية في أوروبا ، في هذه الفترة ، أي للفترة من 1900 إلى 1930 ، تم ترتيبها بحسب تاريخ الصدور :

1 . كتاب البخلاء .

للجاحظ .

نشره : فان فلوتن ، 1900 م .

2 . الدرة الألفية في علم العربية .

لابن عبد المعطي الزواوي .

نشرها : وترستين ، 1900 م (النص الكامل) . ... 3 . عيون الأخبار .

لابن قتيبة .

نشره : بروكلمان ، 1900 (1908 م ، 4 ج .

4 . مجموع أشعار العرب .

نشرها : الألماني فلهم ألفرت (وليم الورد) ، 1902 . 1903 م ، 3 ج .

---

5 . ديوان العجاج .

(ديوان رؤية بن العجاج) .

نشره : فلهم ألفرت ، 1903 م .

6 . رسائل صغيرة .

للجاحظ .

نشرها : فان فلوتن ، 1903 م .

7 . الطبقات الكبرى .

لابن سعد .

نشرها : جماعة من المستشرقين الالمان ، وهم : هورفتس ، ومتوخ ، وبروكلمان ، وشوالي ، ولبرت ، وميسنر ، وزترستين ، بإشراف : سخاو ، في 1903 . 1928 م ، 9 مج .

8 . من : كتاب التاريخ .

لهلال الصابي .

نشره : الانجليزي أمدروز ، 1904 م (نشر قطعة باقية من هذا الكتاب ، تشتمل على حوادث السنوات 389 . 393 هـ) .

9 . من : كتاب الوزراء .

لهلال الصابي .

نشره : أمدروز ، 1904 م (نشر قطعة ... باقية من بداية الكتاب ، مع قطعة الكتاب السابق) .

10 . الهاشميات .

للكميت بن زيد الأسدي .

نشرها : هوروفتس ، 1904 م .

11 . رحلة ابن جبير .

نشرها : دي خويه ، 1907 م (بالاعتماد على طبعة وليم رايت لهذا الكتاب ، في 1852 م .

12 . نقائض جرير والفرزدق .

نشره : بيفان ، 1905 . 1912 م ، 3 مج .

13 . مختارات من كتب الجغرافيا العربية .

نشرها : دي خويه ، 1907 م .

14 . معجم الأدباء .

لياقوت الحموي .

نشره : مرجوليوث ، 1907 . 1916 م ، 7 ج .

* * *

---

15 . قصائد عمر بن قميئة .

نشرها : الإنجليزي ليال ، 1910 م (مع ترجمة) .

16 . قصيدة كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرحها .

لأبي زكريا يحيى بن علي ، الخطيب التبريزي .

نشرها : الألماني كرنكوف ، في ZDMG ج 65 (1911 م) ص 241 . 279 (مع تعليقات نقدية) .

17 . كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

لتقي الدين المقريزي .

نشره : الفرنسي فييت ، 1911 . 1927 م ، ج 1 . 3 وج 5 .

18 . دواوين عبيد بن الأبرص الأسدي ، وعامر بن الطفيل ، وعامر بن صعصعة .

نشرها : ليال ، 1913 م (مع ترجمة وتعليقات) .

* * * ... 19 . فواتح الجمال .

لنجم الدين الكبري .

نشره : السويسري مارتز ، 1913 م .

20 . تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان .

نشره : هودا ، 1913 . 1914 م (مع ترجمة بالفرنسية) .

21 . تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .

لمحمود كاتي .

نشره : هودا ، 1913 . 1914 م .

22 . مختصر في الجبر .

لابن بدر .

نشره : الإسباني بيرث ، 1916 م (مع ترجمة بالإسبانية ، ودراسة) .

23 . طبقات الشعراء .

لابن سلام الجمحي .

نشره : الألماني هل ، 1916 م .

* * *

---

24 . فصول من كتاب : المستظهري في الرد على الباطنية .

للغزالي .

نشرها : جولد تسيهر ، 1916 م .

25 . ديوان مزاحم العقيلي .

نشره : كرنكوف ، 1920 م (مع ترجمة إنجليزية) .

26 . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات .

نشره : النمساوي رودوكاناكس ، 1920 م (مع ترجمة ألمانية ، وتعليقات) .

27 . نشوار المحاضرة .

للتنوخي .

نشره : مرجوليوث ، 1921 م .

28 . كتاب الحيل والمخارج .

للخصاف .

نشره : شاخت ، 1923 م .

29 . كتاب الحيل في الفقه .

لأبي حاتم القزويني .

نشره : شاخت ، 1924 م .

* * * ... 30 . كتاب اللامات .

لأحمد بن فارس .

نشره : برجشتريسر ، 1924 م .

---

31 . دواوين الهذليين الجديدة .

نشرها : هل ، 1926 . 1933 م ، 2 ج .

32 . كتاب إذكار الحقوق والرهون .

نشره : شاخت ، 1926 . 1927 م .

33 . قطعة من : ديوان التدبيج .

لأبي الفضل عبد المنعم الغساني الأندلسي الجلياني .

نشرها : زترستين ، 1927 م .

34 . النزاع بين الإسلام والمانوية .

كتاب لابن المقفع ضد القرآن الكريم رد عليه القاسم بن إبراهيم الزيدي .

نشره : جوديي ، 1927 م .

35 . وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين .

نشرها : ليفي بروفنصال ، 1928 م (مع ترجمة فرنسية وتعليقات) .

تجدر الإشارة إلى أن ما نشر محققا من التراث العربي الإسلامي في أوروبا ، منذ مطلع القرن السابع عشر

حتى عام 1930 م ، أي من في طول الفترة من 1600 إلى 1930 م ، لم يتجاوز (200) مائتي عنوان كتاب ، بحسب ما عثرنا عليه (62) ، من خلال تتبعنا في المراجع المتخصصة .

ومع علمنا بأن الاستقراء التام في مثل هذه الموارد متعذر ، ولكن يمكن أن نطمئن إلى أن قائمة الكتب العربية المحققة في الغرب في تلك الفترة ، لا تزيد على الرقم المذكور كثيرا ، لأن الغربيين اهتموا منذ وقت مبكر في توثيق ما تنشره مطابعهم ، خصوصا ما يتولون تحقيقه وضبط نصه من مؤلفات عربية .

فقد قام الألماني اشنورر (1742 . 1822 م) مثلا بتسجيل الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، للتفرة من 1588 إلى 1810 م ، في كتاب (المكتبة العربية) ، ثم أكمل عمله زنكر ، وكارل فريدريصي ، وأوجست ملر ، وفكتور شوفان الذي نشر ثبتا ببليوغرافيا لما طبع هناك بعنوان (فهرست للمؤلفات العربية والمتعلقة بالعرب التي نشرت في أوروبا المسيحية من 1810 إلى 1885 م) .

لقد تم انتقاء بعض الكتب العربية وتحقيقها ، فيما جرى تجاهل لآلاف الكتب العربية المخطوطة ، والمكدسة في رفوف المكتبات الأوروبية ، ففي القائمة السابقة نلاحظ تغييبا تاما لروح التراث الإسلامي ، وكنوزه المتمثلة بالتفسير وعلوم القرآن الكريم ، والسنة الشريفة وعلومها ، إذ لا نجد كتابا مرجعيا واحدا مما حققه الغربيون في ذلك !

كذلك نرى تجاهلا لتراث السيرة الشريفة ، فلم ينشر في أوروبا طيلة تلك المدة سوى كتاب واحد في السيرة (السيرة ، لابن إسحاق ، برواية ابن هشام ،

---

(62) يتجاوز عدد الكتب العربية المنشورة في أوروبا . غير المحققة . ، في هذه الفترة ، هذا العدد بكثير .

نشره : فستنفلد ، في 1857 . 1860 م) ، ومقتطفات محدودة في السيرة من بعض كتب التاريخ الأخرى !

وهكذا الحال بالنسبة لتراث الفقه الإسلامي وأصوله العظيم ، الذي يقع في مئات المجلدات ، والذي عبر عن عظمة الشريعة ، وقدرة الإسلام الفائقة في تنظيم المجتمع وإدارته ، لكن المستشرقين لم ينشروا سوى بضع رسائل ثانوية منه ، في مطلع هذا القرن ، نشرها الألماني شاخت ، في التفرة من 1923 . 1933 م .

إن التفسير وعلوم القرآن الكريم ، والسنة الشريفة وعلومها ، والسيرة الطاهرة ، الفقه ، إن هذه العلوم تمثل الروح الحقيقية لتراثنا المجيد ، وتجسد المعالم الأصيلة لشخصية الأمة المسلمة ، وتكشف عن منابع القوة في هذه الشخصية ، وتبرز رصيدها الهائل من منجزات حضارية عظمى ، وما تمتاز به على سائر الأمم من عقيدة نقية قائمة على الفطرة ، ومن قيم وأخلاق كريمة تفوقت بها على سائر المجتمعات البشرية على طول التاريخ ، وقضت بها على نزعة البربرية والظلم والعدوان ، التي كانت وراء كل الانتهاكات لحقوق الإنسان في التاريخ .

(5/14)

إن المستشرقين حين يتجاهلون هذا التراث الخالد ، مع توفره بكثافة في خزائن الكتب لديهم ، ويعمدون إلى تحقيق وترجمة ونشر الكتب العربية الأخرى ، إنما يقومون بذلك ، وهم على وعي تام بطبيعة الدور الخطير الذي يضطلعون بأدائه ، في تشكيل صورة مزيفة للقرآن ، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ثم الإسلام ، في العقل الغربي ، عندما يستلهمون هذه الصورة من بعض كتب التاريخ ، وتاريخ الفرق الإسلامية ، ودواوين الشعر ، ويركزون على انتزاع بعض الشطحات ، والمواقف الماجنة الشاذة ، والسلوكيات المنفرة ، والأساطير ، والإسرائيليات ، فيسلطون عليها الأضواء ، ويكثرون الحديث عنها ويسعون لتعميمها ، والتأكيد على أنها تعكس طبيعة الإسلام

(6/14)